ماردولا

* الكتاب: ماردولا
* الكاتب: سارة غزوان
* مراجعة لغوية: قسم التحرير والمراجعة بدار المنتدىٰ
* تصميم الغلاف: قسم الجرافيك بدار المنتدىٰ
* إخراج داخلي: القسم الفني بدار المنتدىٰ
* رقم الإيداع: 14430 / 2022
* الترقيم الدولي: 978-977-6917-96-4

المدير العام: عزيز عثمان
لمراسلة الدار: daralmuntadaa@gmail.com
واتس آب: 01005186476
صفحة الدار على موقع فيسبوك: دار المنتدى للنشر والتوزيع

صدر عن دار العنقاء للنشر والتوزيع
بالتعاون مع دار المنتدى للنشر والتوزيع

دار المنتدى للنشر و التوزيع
العنقاء دار العنقاء للنشر والتوزيع

9 789776 917965

(روايـــــة)

ماردولا

جريمة في سفينة

سارة غزوان

دار المنتدى
للنشر و التوزيع

إهداء

إلىٰ كل من صدق حلو ومر الحياة...

إلىٰ من شاء له القدر أن يعيش بحلم يستطيع الإكمال به...

الشكر الخالص لوجه الله تعالىٰ، فهو من وفقني لإكمال هذه الرواية.

إلىٰ الشخص الذي حفزني لإكمال ما بدأت بكتابته، الشخص الذي جعلني أصدق قدراتي وأومن بها.

****

المقدمة

الحياة دائمة الغموض، أغلب الغموض يأتي علىٰ هيئة أشخاص عابرين، نرىٰ ظلهم لوهلة، لكننا لا نعلم ما تخبئ أعينهم من حقيقة.

قد يهرب المصاب من حقيقة خبأها حتىٰ عن نفسه، من الممكن أنه لا يود سماعها ولا تخبيئها هربًا من تصديقها، فيختلق حقيقة مُرضية لنفسه ويكذب بها علىٰ الآخرين.

قد يكون الابتعاد عن الحقيقة تفاديًا للآلام، ولكنها تربي أجيالًا لا علم لها.

الناس لا يعلمون أن الحياة حلوة، ولكن الناس من أفسدوها، قد تكون حقيقة تصديق حلاوة الحياة صعبة علىٰ الكثير، ولكن بعد كل عسر يسر، وتظهر الحياة بعد مرارتها حلاوة.

بعد إغلاق الدنيا أبوابها بوجهك وتذهب الناس من حولك، ستتأكد أنك في الطريق الصحيح، ولا رجعة فيه.

(رحلة في البحار)

- ماذا يحدث؟
- أظن أن هناك جريمة.
- جريمة، من؟
- لا أعلم من ولكن أظن أنه السيد...

التاسع عشر من شهر نوفمبر ١٩٦٤:

يوم عادي في حي المنارة في لبنان، لاحظ عمران ويوسف وجود أوراق في أنحاء المدينة، فالتقط يوسف إحدىٰ هذه الأوراق ليقرأ بصوت مرتفع: «انتباه لأصحاب الطبقة المخملية الراقية، ستنطلق سفينة «ماردولا» في رحلة بحرية في تمام الساعة الثانية ظهرًا في يوم الثلاثاء القادم، للتسجيل في هذه الرحلة الرجاء...

أمسك عمران هذا الإعلان بكل لهفة وحماس وقال: لقد كنت أنتظرهذه اللحظة، ماذا تنتظر؟

يوسف: لكن لم أكمل قراءته بعد.

عمران: ولماذا ستكمل قراءته؟ لن تحتاج إلىٰ ذلك.
أمسك عمران بيد يوسف بسرعة وذهبا للتسجيل ضمن هـذه الرحلـة، وعنـد وصـولهما إلـىٰ مكـان التسـجيل المكتوب علىٰ الإعلان:
عمران: مرحبا سيدي هل هذا مكان التسجيل؟
يوسـف: التسـجيل للرحلـة البحريـة علـىٰ مـتن سـفينة ماردولا.
موظف التذاكر: نعم، ولكن لا أظن أنك تستطيع شراء التذكرة (موجهًا هذا الكلام لعمران).
يوسـف قـائلا لعمـران: لا تقلـق سـأتكفل بهـا، أيهـا الموظف: تذكرتين لوسمحت.

الثاني والعشرون من شهر نوفمبر، يوم الثلاثاء المنتظر:

«إلىٰ جميع الركاب في سفينة ماردولا الأعزاء، سيداتي وسادتي: ستبدأ رحلتنا الساحرة الآن».
كـان كـل مـن يوسف وعمـران في قمـة الحمـاس لأجـل هذه التجربة الجديـدة، ذهـب كـل مـن يوسـف وعمـران إلـىٰ الغـرف المخصصـة لهمـا، مرسـوم علىٰ وجههمـا

علامات الدهشة والتعجب من جمال السفينة الساحرة، عند وصول يوسف إلىٰ غرفته (١٣) كان يوجد بها ثلاث أشخاص.

يوسف: يا للعجب، غرفة مزدحمة، لا مشكلة.

أحمد «زميل يوسف الجديد بالغرفة»: أهلا أهلا بك يا سيد؟

يوسف: يوسف... يوسف بدر.

أحمد: أظن أنني سمعت باسمك من قبل علىٰ صحيفة الحرية.

يوسف: أظن ذلك، أنا مؤسس هذه الصحيفة.

أحمد باندهاش: يا للروعة، إنني أقرأ هذه الصحيفة كل يوم، إنني معجب بها.

قاطع هذا الحوار ضربات علىٰ الباب: الغداء جاهز يا يوسف، هل ستذهب معي؟ «كان ذلك صوت عمران لنداء يوسف».

خرج يوسف بسرعة: عمران، هيا لنذهب.

في الطريــق كــان عمــران في قمــة الانزعــاج بســبب الأشخاص المزعجين معه في الغرفة وأن الغرفة تفوح منها روائح نتنة بسببهم، في منتصف الحديث وصلت روائح زكية إلىٰ أنف عمران أنسته كل ما كان يتكلم عنه قبل ثوانٍ.

عمران: هل هذه رائحة ال...

قاطع عمران النادل قائلًا: سيد يوسف سيد عمران، طاولتكما رقم سبعة تفضلا.

انغمر كل منهما في الطعام كأنهما خارجين من مجاعة.

مر أول يوم بسعادة تغمر وجهيهما، وعندما حل وقت النوم ذهب كل منهما إلىٰ غرفته ودخل يوسف في نوم عميق، استيقظ يوسف علىٰ طرقات الباب ونداء باسمه: يوسف يوسف، افتح الباب بسرعة أنا عمران، يوسف.

فتح يوسف الباب بسرعة: عمران.

عمران: لن أبقىٰ ولو لثانية أخرىٰ في تلك الغرفة.

ذهب يوسف ليحضر سترته ليجلس مع عمران في القاعة، بدأ عمران بالتكلم والشكوىٰ من غرفته والأشخاص معه في الغرفة مرة أخرىٰ: يوسف يجب أن أنتقل معك بالغرفة بأسرع وقت، يوجد شخص يسمىٰ سلطان يلقب نفسه بالتمساح ولم أرىٰ أقرف منه ومن رائحته...

يوسف: حسنًا حسنًا، لا بأس في ذلك فلن نبقىٰ كثيرا.

عمران: لن نبقىٰ كثيرا؟ شهر كامل يا يوسف، سنجول العالم، وتقول لي لن نبقىٰ كثيرًا؟

قاطع حديثهما الطاهي: مرحبًا أيها السيدان، هل يريد أحدكما بعض من اللحم؟

رد عمران وملامح الصدمة علىٰ وجهه: لحم؟ إنها الساعة الثالثة في منتصف الليل، ولكن أتصدق يا يوسف إن رائحته شهية؟

يوسف: أيها الساغب، طبقان أيها الطاهي من فضلك.

في غضون دقائق قليلة جاء الشيف بطبقي لحم شهيين، أكل كل منهما الطبق بثوانٍ قليلة.

يوسف موجها الكلام للشيف: إنه ألذ لحم تذوقته بحياتي، ولكن هل هذا لحم عجل؟

الشيف: أجل، إنه أغلىٰ وأفخر لحم عجل في الشرق الأوسط.

بعد الانتهاء من الطعام غط كل منهما في النوم من شدة التعب في هذه الرحلة، استيقظا في تمام الساعة التاسعة والنصف علىٰ صوت منادٍ ب: أيها السيدان...سيدي سيدي...

رد عمران بانزعاج: آه ماذا؟!

يوسف: عمران انهض بسرعة، عمران.

نهض عمران ليرىٰ ما هذه الجلبة الكبيرة ليرىٰ أشهر الشخصيات في ذلك الوقت السيد حسام أحمد صاحب سلسلة المطاعم الأشهر في ذلك الوقت.

عمران وهو بصدمة: سيد حسام أحمد؟ تفضل بالجلوس.

علىٰ الجانب الآخر كان يوجد أب وابنته البالغة من العمر خمس سنوات، كان الأب في قمة الحزن علىٰ زوجته المتوفية منذ شهر ونصف، فانجذب يوسف إلىٰ الأب لمعرفة قصته، فقرر يوسف الذهاب إليه لسماع قصته إلىٰ أن أوقفه سؤال من السيد حسام أحمد: سيد يوسف، كيف تسير معك صحيفة الحرية.

يوسف: بخير بخير.

حسام أحمد: أود منك أن تضع في أحد الأيام أخبارعن سلسلة المطاعم الخاصة بي.

يوسف: ولكن...إنها تخص المواضيع السياسية، ولا يوجد بها أي صلة عن المطاعم يا سيد حسام.

قام عمران بضرب قدم يوسف وقال: سيد حسام، أظن أن يوسف مشتت قليلًا، أرجو أن لا تؤاخذه فهو لا يعي ما يقول، وأظن أنه يرغب في وضع اسم سلسلة المطاعم الخاصة بك في صحيفته، أليس كذلك يا يوسف؟

يوسف: هل تعطياني بضع دقائق من فضلكما؟

نهض يوسف في عجالة ليرى ويسمع قصة هذه الأب وهو غير مبالٍ لنداء عمران له.

يوسف: مرحبا سيدي، أنا يوسف بدر مؤسس صحيفة الحرية.

الأب: مرحبًا، تفضل سمعت الكثير عن صحيفتك ولكن أنا لا اقرأ الصحف.

يوسف: لا لا، لم آتي هنا لأجل الصحيفة، أتيت لأسألك عن أحوالك وابنتك الجميلة.

لاحظ يوسف عينا الأب الحزينة وهي تتحول إلى بحر من الدموع بعد أن قام أحد بالسؤال عن حاله، فبدأ بسرد قصته وأن الحياة صعبة مع تربية إبنة توفت أمها قبل فترة قصيرة، وسؤال الفتاة عن أمها المتكرر، كان من الواضح أن زوجته كانت تعني له الكثير، وهي الشخص الوحيد الذي كان يملكه، لأنه يتيم الأبوين، أخبر الأب يوسف أنه فكر بالانتحار عدة مرات، لكن تذكر أنه لا يستطيع ترك ابنته وحيدة من غير أحد، عم

الصمت لثوان بين الأب ويوسف، فقرر الأب أن ينهض ويغسل وجهه، نهض وقال: شكرًا لك يا سيد يوسف علىٰ كل شيء.

جلس يوسف مع الفتاة لأكثر من نصف ساعة، فقرر الذهاب والإطمئنان علىٰ الأب، ليجده يجاول القفز من السفينة بدافع الانتحار، أسرع يوسف إلىٰ الأب وحاول الإمساك به وإقناعه، لكن كان الأب في غاية الإصرار علىٰ قراره.

«سيد يوسف، إن ابنتي أمانة لديك، أرجو أن تعني بها».

بدأ يوسف بالصياح لطلب المساعدة، إلىٰ أن جاء شخص من الأمن للإمساك به، تراجع الأب في نهاية المطاف مفكرًا بابنته، وكانت تعلو ملامح الحزن والانهيار وجهه المتعب، جاء عمران راكضًا لمعرفة سبب هذا الضجيج، ليرىٰ يوسف ورجال الأمن متجمعين علىٰ الأب محاولين مواساته، أمسك عمران يد يوسف وسحبه ليفهم ماذا جرىٰ، وعندما كان

يوسف يسرد ما الذي جرىٰ، تفاجأ عندما نظر إلىٰ عمران وملامح الحزن تعلو وجهه.

الساعة الرابعة عصرًا، تعم أجواء الصدمة والحزن علىٰ كل منهما، تقدم السيد حسام أحمد لمواساتها والتخفيف عنهما قائلًا: لا أعلم ولكن أظن أنه كان ممثل بارعا جدًا، وأنه من السهل إقناعهما.

ضحك يوسف علىٰ سخافة ما كان يقول، وكان علىٰ وشك الرد إلىٰ أن أمسكه عمران من كتفه ليتجاهله، ظل السيد حسام يتكلم عن الأب وأنهما انخدعا بتمثيله، ولكن لم يستطع عمران إمساك نفسه وصرخ بصوت عالي علىٰ السيد حسام ونعته بأنه شخصية نرجسية وغير مبالية بمشاعرالناس، حاول يوسف أن يوقف عمران ولكن عمران لم يتوقف إلىٰ أن نهض السيد حسام كالهارب، مرت بضع ثوان، عمهما الهدوء ثم انفجر كل منهما بالضحك علىٰ شكل السيد حسام وكيف تحول وجهه إلىٰ جميع الألوان من كلام عمران.

بعد مرور يوم:

استيقظ عمران من النوم في الساعة الحادية عشر باستغراب، لأنه لم يسمع صوت سلطان اليوم، فجلس ينادي: سلطان... سلطان، أظن أنه ذهب إلىٰ القاعة.

ذهب عمران إلىٰ القاعة ليجد يوسف جالس علىٰ المقعد المعتاد يقرأ كتابه، فاتجه نحوه وقال بسخرية: صباح الخير أيها السيد يوسف.

يوسف: أوه سيد عمران، هل استيقظت من سباتك العظيم؟

عمران: أتصدق أنني نمت بشكل لا يصدق؟

يوسف: من غير المعتاد أن تنام إلىٰ هذا الوقت ولم يضايقك السيد تمساح.

عمران: لم أجده هذا الصباح، ألم تره اليوم؟

يوسف: لا أظن ذلك.

عمران: إنه سلطان الغريب لنتركه علىٰ جانب، هل تناولت الإفطار؟

يوسف: إنه السيد يوسف وحبه لبطنه، لا انتظرتك.

بعد الانتهاء من الإفطار جلس يوسف يكمل قراءة كتابه، وطلب عمران كوبا من الشاي، لفت انتباه عمران اللحن الذي كان يعزفه عازف الكمان، كان في قمة الانبهار من عزفه، عند انتهاء العازف نهض عمران وهو يصفق بكل قوة وانبهار، ذهب متجهًا إليه ليخبره مدىٰ روعته في العزف.

عمران: مرحبا أيها العازف، لقد أبهرتني بعزفك الهادئ المليئ بالمشاعر والأحاسيس.

العازف: شكرا لك سيد عمران.

عمران: علىٰ الرحب والسعة، ولكن كيف لك أن تعرف اسمي؟

العازف: لقد سمعت أنك صديق للسيد يوسف، ولا يوجد أحد لا يعرفه.

عمران بانزعاج: أجل، فالناس تعرفني عن طريق يوسف لا عن طريق إنجازاتي أو شخصيتي، كم هذا مؤسف.

ضحك العازف ثم قال: وماذا تعمل؟

يوسف: أنا أعمل في متجر صغير للحلويات.

العازف: وكيف تعرفت علىٰ السيد يوسف؟

عمران: إننا أصدقاء منذ الصغر.

ظل كل من العازف وعمران يتحدثان طويلًا، إلىٰ أن قاطعهما يوسف بسؤال:

«سيد عمران، أوجدت صديقًا غيري؟»

عّرف عمران يوسف لصديقه العازف ودعاهما إلىٰ شرب القهوة، وظل حوارهما إلىٰ المساء بالتحديد الساعة التاسعة والنصف، ودع العازف كل من يوسف وعمران ونهض لكي يذهب للنوم، فغدًا وراءه الكثير من التدريبات علىٰ مقطوعته الموسيقية الجديدة.

****

(التمساح)

٢٧ من شهر نوفمبر:

كانت رائحة البخور تعم جميع أنحاء السفينة وكانت الأجواء هادئة، كان كل من يوسف وعمران في القاعة السفلية يستمتع كل منهما في كوب القهوة الخاص به، وفي الجانب الآخر كانت الموسيقىٰ هادئة وحساسة مناسبة لأجواء الصباح، في تلك الأجواء تم سماع صراخ قادم من ناحية إحدىٰ المخازن، أسرع كل ركاب السفينة إلىٰ مصدر الصوت، وإذ بسيدة جالسة علىٰ الأرض ودموع الخوف تعلو وجهها، وأمامها جثة هامدة بالكاد ترىٰ من كثرة الدماء وأثار التعذيب عليها، كان يوجد علىٰ متن هذه السفينة المحقق أسامة وهو من أشهر المحققين في لبنان في ذلك العصر، بالبداية طلب المحقق أسامة من الجميع الخروج وأخذ السيدة إلىٰ غرفة منعزلة، لأنها تعد أول شاهد علىٰ هذه الجريمة، أخذ المحقق قفازين وبدأ بتفحص

المكان والبحث عن أي دليل يفسر سر هذه الجريمة المفاجئة، وفي ذلك الوقت كان عمران يختلس النظر، وإذ بعمران يصرخ قائلًا: هل هذا سلطان؟

سأل المحقق عمران عن إذا كان يعرف هذا الشخص، فأجاب ودموعه بالكاد تقع: أجل، إنه سلطان زميلي في الغرفة، لقد اختفىٰ منذ بضعة أيام، كنت أفكر به هذا الصباح «ماذا حدث له، وأين اختفىٰ؟».

المحقق أسامة: لماذا لم تبلغ أحدًا عن اختفائه؟

عمران: لقد أخبرت يوسف عنه، تستطيع سؤاله إذا أردت.

المحقق أسامة: ومن هو يوسف؟

عمران: إنه صديقي، فلقد أتيت معه لهذه الرحلة.

طلب المحقق أسامة إحضار يوسف، وقام بسؤاله عن صحة ما قاله عمران، فرد يوسف قائلًا: أجل، أخبرني عمران عن السيد سلطان، أيضًا أخبرني أن سلطان يلقب نفسه بالتمساح.

المحقق أسامة: التمساح؟ غريب هذا اللقب.

انتبه المحقق أن الجثة جديدة وأنها لم تتحلل، فقد أخبره عمران بأن سلطان كان مفقود منذ فترة، جلس يفكر المحقق بينه وبين نفسه: «قد يكون عمران هو المشتبه به الأول، لأن التمساح زميله ولم يكن بينهما أي وثاق في الماضي، طلب المحقق تفتيش غرفة سلطان وعمران محاولًا جمع دليل عن الجريمة، ومنع دخول مسرح الجريمة لأحد غيره.

لم يعثر المحقق علىٰ أي دليل ضد عمران، ولكن لا يوجد أحد غير عمران يعرف سلطان في هذه الرحلة، طلب المحقق إحضار عمران ليحقق معه لكونه المشتبه به الرئيسي.

المحقق: السيد عمران، لقد تم وضعك في قائمة المشتبهين بهم كونك المشتبه به الرئيسي.

عمران بنبرة مليئة بالخوف: أقسم لك أنني لم أفعل له أي شيء.

المحقـق: ولكـن جميـع مـن في السـفينة ومـن ضـمنهم السيد يوسف يعلم أنك لم تكن علىٰ وفاق معه.

عمران: نعم هذا صحيح، بسبب أنه كان كثير الإزعـاج، ولـم أسـتطع النـوم لعـدة أيـام بسـببه، ولكـن في إحـدىٰ الأيام اختفىٰ، والآن تم اكتشاف جثته.

المحقق بنبرة حادة: أين كنت مساء البارحة؟

عمران: كنت مع يوسف في القاعة في الطابق السفلي.

المحقق: وصباح هذا اليوم؟

عمران: أشرب القهوة مع يوسف.

طلـب المحقـق إحضـار يوسـف إلـىٰ التحقيـق لمعرفـة الموضوع من جهة يوسف.

المحقـق: سيد يوسـف، سـأدخل في صـلب الموضـوع، أنـت تعـرف أنـه في هـذا الصـباح تـم إيجـاد جثـة السـيد سلطان، وأن صديقك عمران هو المشتبه به الرئيسي.

ثم أخذ المحقـق نفسـا عميقـا وأضـاف إلىٰ كلامـه: أقـر السيد عمران أنه كـان معـك في مسـاء البارحـة، هـل هـذا صحيح؟

يوسف: صحيح، فقد كنا في القاعة بالأمس، وفي تمام الساعة الثانية عشر ذهب كل منا إلىٰ غرفته لينام.

المحقق: وصباح هذا اليوم؟

يوسف: كان يشرب القهوة، وكنت أقرأ أحد كتبي.

طلب المحقق إحضار كل من كان في القاعة، كان الكل يشهد أن عمران كان متواجد هناك، قال المحقق بينه وبين نفسه: «الآن لدىٰ عمران حجة قوية، فمن يا ترىٰ؟».

لنعود بالزمن إلىٰ قبل أربع أيام منذ اختفاء سلطان.

«التمساح»:

كان يوم عاديا لسلطان كباقي أيامه في السفينة، يقوم بروتينه المعتاد، في الساعة التاسعة صباحًا ينهض من نومه، ويذهب لتناول الإفطار المعتاد وهو بيضتان مع جبنة الحلوم وكوب من الشاي الأحمر، وبعدها يذهب لمقدمة السفينة ليستنشق الهواء ويرسم في دفتره الخاص، وفي ذلك الوقت قدم رجل إليه ليطلب

المساعدة في حمل بعض الأكياس الثقيلة، وافق سلطان وذهب معه بكل طاعة وسرور، عندما كان يحمل الأكياس اكتشف أنه يوجد شيء غريب في أحد هذه الأكياس، كان يتساءل لماذا هذه الأكياس ثقيلة جدًا؟ فقرر فتح أحدها ليرىٰ ما بداخلها، وإذا بشيء قوي يضرب رأسه ليسقطه أرضًا، استيقظ سلطان ليرىٰ نفسه جالس علىٰ كرسي مربط اليدين وفمه مغلق بشريط لاصق، حاول سلطان فك الحبل ولكنه لم يستطع بسبب مهارة الشخص الذي ربطه، ظل سلطان علىٰ هذه الحالة لمدة ثلاث أيام لا يستطيع الحراك، كان هناك شيء جعل سلطان في حيرة من الشخص الذي اختطفه، فقد كان يحضر له سبع وجبات باليوم، كان يجبره علىٰ تناول جميعها بفترة قصيرة، كان من غير المنطقي تناول هذه الأطعمة بمثل هذه الفترة الوجيزة بمفرده، بعد مرور عدة ساعات جاء الخاطف ومعه وجبة جديدة ولكن سلطان لم يستطع تناولها، لأنه استمر بالأكل في هذا اليوم أكثر مما يتحمله جسم

الإنسان الطبيعي، ظل الخاطف يحاول جعل سلطان يتناولها ولكنه لم يستطع، فقام الخاطف بسحب سكينته وطعن بها سلطان في صدره أربع طعنات متتالية، وبقرب رقبته مرتين، فارق سلطان حياته من أول طعنتين في صدره.

ظل سلطان يعاني أربع أيام ولم يشعر به أحد، إلىٰ أن قُتل علىٰ يد شخص لا يعرف حتىٰ ملامحه ولا هويته، لم يشفق عليه الخاطف إلىٰ أن قتله بكل برود غير مباليا لأي شخص سيحزن علىٰ موت سلطان وفراقه.

لنعود إلىٰ الحاضر إلىٰ عند المحقق أسامة:

كان المحقق أسامة قد طلب تفتيش غرفة عمران وسلطان ولكن لم يجدوا إلا معدات رسم الخاصة بسلطان، كان هناك معدات رسم ولكن لا أثر للدفتر، طلب المحقق البحث في جميع أنحاء السفينة عن دفتر الرسم الخاص بسلطان، إلىٰ أن تم العثور عليه في مقدمة السفينة من قبل يوسف، فتح المحقق ويوسف الدفتر وجلسا يتصفحانه، ولم يكن هنالك أي شيء

غريب فهو كأي دفتر رسم، لم يتبق إلا صفحة واحدة، كان كل منهما متعرض لخيبة أمل من هذا الدفتر، تمعن كل منهما في الصفحة الأخيرة والتي كان مرسوم بها شخصا يحمل بعض الأكياس.

جلس كل من المحقق ويوسف يفكر بمعنىٰ هذه الرسمة الغريبة ويحاول فهمها ولكن لم يكن لمحاولتهما أي جدوىٰ.

عاد المحقق إلىٰ السيدة التي وجدت هذه الجثة بعد أن هدأت، فتح باب الغرفة بهدوء ثم جلس وقال لها: مرحبًا

سيدتي، أنا المحقق أسامة، هلا أعطيتيني اسمك لطفًا؟

قالت السيدة ويبدو أن الخوف سيطرعليها: ماريا، اسمي ماريا يا سيدي.

المحقق: لا لا تناديني بسيدي، فقط ناديني بالمحقق أسامة.

السيدة ماريا: حسنا أيها المحقق.

المحقق: سيدة ماريا، كيف اكتشفتِ مكان الجثة؟

السيدة ماريا: كنت أمشي متجهة إلىٰ غرفتي، فقد نسيت ساعتي هناك، في طريقي إلىٰ الغرفة شممت رائحة بخور جذبتني إليها من المخزن، فمن الغريب شم رائحة بخور من المخازن، لم أفكر قط أن ما سأراه بعد ثوانٍ سيكون شيئًا لن أنساه طوال عمري، عند وصولي رأيت جثة السيد سلطان وحولها الكثير من الدماء، في تلك اللحظة لم تستطع قدماي حملي، سقطت علىٰ الأرض وقمت بالصراخ بأعلىٰ صوتي إلىٰ أن اجتمع جميع من في السفينة.

المحقق: لقد بخر الوضيع السفينة، لكي يمنع خروج رائحة الجثة بعد تحللها، شكرا لك سيدة ماريا.

أمر المحقق بإحضار جميع أنواع البخور الموجودة علىٰ متن السفينة، لكنه اكتشف أن جميع أنواع البخور انتهت في هذا الصباح، فكر المحقق كم وضع القاتل من البخور لدرجة أنه انتهىٰ، فقط ليغطي رائحة الجثة؟

ظـل المحقـق يسـأل عـن الأشـخاص الـذين يملكـون البخـور، ولكـن لـم يعرفـوا لأن في كـل مـرة يـتم تبخيـر السفينة من قبـل أشـخاص مختلفـين، شـعر المحقـق أن القاتل كان قد خطط لهذه الجريمة من وقت طويل فمن المستحيل أن يكون بهذه البراعة مـن دون خطـة مسـبقة، ولكن جميـع الطـرق مغلقـة فـلا يوجـد دليـل ولا يوجـد شهود فكيف يمكن للمحقق أن يعلم من هو القاتل؟

****

(انتحار)

بعد يومين من الحادثة الشنيعة التي حدثت في السفينة، كان كل من المحقق ويوسف يجلسان من دون أي نفع، لا يستطيع أي منهما فعل أي شيء، فلا يوجد دليل علىٰ الجريمة غير ذلك الدفتر اللعين ولا يوجد حتىٰ شاهد واحد، اقترح يوسف علىٰ المحقق الذهاب إلىٰ مقدمة السفينة واحتساء كوب من القهوة، وعندما كان كل منهما يشرب كوبه جاء طفل صغير إلىٰ يوسف ليعطيه رسالة ممزقة، استغرب يوسف وسأل الطفل عن هذه الرسالة جاهلًا مرسلها، فأجابه الطفل قائلًا: لا أعلم، هناك رجل أمر بتسليم هذه الرسالة إليك.

فتح يوسف الرسالة وكانت علامات الدهشة والخوف علىٰ وجهه، فكان محتوىٰ الرسالة: إلىٰ السيد يوسف، يشهد ربي أنني لم أقابل رجلًا مثلك بالأخلاق والأدب، وأشكرك علىٰ ما فعلته لي ولابنتي، وفقك الله في حياتك... من الأب جورج.

هرع يوسف مسرعًا للبحث عن الأب، حاول المحقق تهدئة يوسف وسؤاله عن محتوىٰ الرسالة لكن لم يرد يوسف عليه، فقرر أن يسحب الورقة ويقرأها، بعد انتهاءه نظر إلىٰ يوسف وقال بنبرة حساسة: إنها رسالة انتحار يا يوسف.

يوسف: لا أعلم، ولكن لا يمكنه الانتحار فلديه ابنة صغيرة ولا يستطيع تركها.

مرت عدة دقائق وكل منهما يحاول البحث عن الأب، إلىٰ أن اجتمعا علىٰ صوت صاخب في مقدمة السفينة، ذهب كل منهما بأقصىٰ سرعته إلىٰ مصدر الصوت، كان مصدر الصوت قادم من رجال الأمن، كانوا يحاولون بكل الطرق تغيير رأي الأب، ولكن عند لحظة وصول يوسف سقط الأب جورج وابنته من أعلىٰ السفينة، صعق يوسف من هول ما رأىٰ قبل لحظات قليلة، بدأ بالبكاء بهستيريا، وجلس يصرخ بكل غضب علىٰ ما فعله بالطفلة الصغيرة، ليس لها أي ذنب فلماذا سحبها معه، ظل المحقق يهدئ من روع يوسف

ولكن لا جدوىٰ، بعد قليل جاء عمران ليساعد المحقق في تهدئة يوسف، ولكن لم يستطع لأنه هو الآخر محطم من الأحداث التي تجري علىٰ السفينة، بعد بضع ساعات جاء الطفل مرة أخرىٰ وأعطىٰ يوسف رسالة أخرىٰ، فانصدم يوسف وأمسك بيد الطفل بقوة، ظل يرمي عليه الكلام لكي يعترف بمن يعطيه هذه الرسائل، ولكن لا جدوىٰ فالطفل دائما يرد نفس الرد: لا أعلم.

قال المحقق للطفل: من أعطاك إياها أيها الصبي؟

الطفل: لا أحد.

المحقق: كيف لا أحد، هل أنت مجنون؟

الطفل: لا، فقط طُلب مني أن أوصل لك الرسالة.

وأضاف قائلًا: لا حرج علىٰ الرسول.

صرخ يوسف قائلا: دعوه وشأنه، ألن نفتح الرسالة؟

فُتحت الرسالة وبدأ يوسف يقرأ محتواها: سيد يوسف، أعلم أن انتحاري أحزنك، ولكني قررت بعد انتحاري أن أكتب لك سبب انتحاري، معلوم أن موت

زوجتي الحبيبة أثر علي كثيرًا، ولم أستطع العيش أكثر، ولكن لدي ابنتي العزيزة دانيلا، ولكن أستطيع تركها وحدها في هذا العالم القذر، لأن هناك بعض الكلاب ستأكلها بدون رحمة، فقررت أخذها معي لكي ترتاح من هذا العالم وهذا الألم، لم أستطع جعلها تعيش ألم الفقدان

مرتين، سيد يوسف أعلم أنك غاضب بسبب سحب ابنتي معي، ولكن لم أستطع، «من الأب السيد جورج»

لم يعلم يوسف ماذا يفعل فهذه الرسالة لا تبرر فعلته الشنيعة، فماذا فعلت هذه الطفلة البريئة لتستحق كل هذا. على الجانب الآخر كان عمران والمحقق متشوقين لمعرفة محتوى الرسالة.

المحقق: ألن تخبرنا عن محتوى الرسالة يا يوسف؟

قال يوسف وفي عينيه بحر من الدموع: لا أعلم ماذا سأقول، ولكن يقول الأب في هذه الرسالة عن سبب انتحاره وسحب ابنته معه، خذ الرسالة واقرأها.

بدأ المحقق وعمران بقراءتها، كانت علامات الحزن تعلو وجه كل منهما.

قال عمران وهو غاضب علىٰ الأب: هذا ليس بمبرر، لقد قتل ابنته بنفسه بحجة الحماية من العالم، هذا قمة الغباء والتخلف.

المحقق: الآن ثلاثة أشخاص فقدوا حياتهم علىٰ متن هذه السفينة في غضون يومين علىٰ التوالي، الأول قتل ولم نستطع معرفة القاتل، والثاني سحب ابنته معه وانتحر.

بعد يوم من الحادثة شاهد عمران الطفل صدفةً يأخذ الرسالة الثالثة من شخص، كان يتميز بشعر أشقر مجعد وطويل القامة مهتم بأناقته، وكان يغطي وجهه لكي لا يتم التعرف علىٰ هويته، حاول عمران أن يتذكر أي من الركاب يتصف بهذه الصفات ولكن لا جدوىٰ، فقرر الذهاب إلىٰ يوسف والمحقق لإخبارهما برؤياه، بدأ عمران بوصف الرجل، فطلب المحقق أن يتم جلب كل رجل يتصف بهذه المواصفات.

تم إحضار ثلاث أشخاص، وبدأ المحقق بالتحقيق مع كل شخص منهم علىٰ حدة، كان الأول هو السيد والتر وهو شخص يمتلك مواصفات تشابه أقوال عمران ولكنه كان أعجمي لا يعرف التحدث بالعربية، وفي الجانب الآخر كان المحقق لا يعرف التحدث بلغته، فطلب إحضار شخص يتقن لغته ليساعد المحقق، وفي بداية التحقيق اكتشف المحقق أن السيد والتر كان طوال الوقت يتدرب علىٰ عزف مع الفرقة الموسيقية، وكان جميع من بالفرقة يشهد له ومن ضمنهم عازف الكمان، لم يستطع المحقق إيجاد أي شيء ضد السيد والتر، فانتقل إلىٰ سيد نايثن وهو صاحب شركة كهربائيات في فرنسا وكانت سمعته جيدة، أجمع كل من بالسفينة علىٰ طيبة قلبه وأنه من المستحيل أن يكون الفاعل، بدأ المحقق بسؤال: سيد نايثن، هل يمكن أن تخبرني ماذا كنت تفعل في آخر ثلاث أيام؟

سيد نايثن: كنت في آخر يومين مستلقٍ في غرفتي بسبب مرضي، فأنا أعاني من مرض في الأعصاب والربو.

المحقق: أعتذر على السؤال ولكن منذ متى وأنت تعاني من هذه الأمراض؟

السيد نايثن: كنت أعاني من الربو منذ أن كان لدي سنتين تقريبًا، ومرض في الأعصاب تم اكتشافه منذ أربعة أشهر.

فكر المحقق أن من الصعب لشخص مصاب بكل هذه الأمراض أن يرتب كل هذا، وإن كان هذا لا يعني أنه بريء، فقرر المحقق سؤاله عن علاقته بالرسائل المجهولة، رد السيد نايثن أنه لا يستطيع الكتابة بسبب مرض الأعصاب هذا، فالمرض يجعل يداه ترتجفان فلا يستطيع الإمساك بالقلم، طلب المحقق من السيد نايثن الكتابة ليتأكد من صحة كلامه، وفعلا لم يستطع كتابة حتى اسمه، تم استبعاد السيد نايثن من قائمة المشتبهين بهم وطلب المحقق إحضار الشخص الثالث السيد حسام أحمد، استغرب كل من يوسف وعمران فمن المستحيل أن يكون السيد حسام أحمد الكبير صاحب سلسلة المطاعم الأشهر في هذا الوقت

أن يكـون قـاتلًا، فلمـاذا قـد يقتـل شـخص بثـراء السـيد حسـام أشخاصـا أبريـاء؟ هـل بسـبب المـال؟ بـالطبع لا فهـو يعتـبرمن أنجـح النـاس وأكثـرهم ثـراءً، أو بـدافع الانتقـام، بـالطبع لا فهـو لا يعـرف سـلطان حتـىٰ، بـدأ المحقق التحقيق بسؤاله المعتاد: أيـن كنـت آخـر ثـلاث أيام بالسفينة؟

السيد حسـام أحمـد: لقـد كنـت أجلـس مـع كبـار رجـال الأعمال.

المحقـق: وهـلا تعطنـي أسـمائهم ولمـاذا كنـت تجلـس معهم؟

السيد حسـام أحمـد: السـيد جـلال باشـا، السـيد إسـلام الأطرشي والسيد صبحي أحمد.

ثـم أضـاف إلـىٰ كلامـه: لقـد كنـت أتكلـم معهـم عـن مواضيع العمـل المعتـادة، وأخـر الإنجـازات ومواضـيع علىٰ نفس المنوال .

المحقق: هل كنت معهم طيلة الثلاث أيام؟

سـيد حسـام: لا، فقـط في أول يـومين، واليـوم الثالـث ذهبت لأجلس في مقدمة السفينة لأريح رأسي.

المحقق: طوال اليوم تريح رأسك؟

سيد حسام أحمد: أجل، ففي أول النهار كنت اشرب كوب من القهوة وانظر إلىٰ جمال المحيط، وفي ظهيرة اليـوم كنـت أتكلـم مـع السيد جـلال باشـا عـن أعمـالي القادمـة ومخططـاتي، وفي المسـاء ذهبـت إلـىٰ غرفتـي لأستريح.

المحقق: وفي أي ساعة ذهبت إلىٰ غرفتك؟

سيد حسام: في تمام الساعة التاسعة والنص.

جلـس المحقـق يفكـر بالشـخص صـاحب الرسـائل الغامضـة إلـىٰ أن جاءتـه فكـرة قـد تكشـف أحـد هـؤلاء الثلاثـة، ألا وهـو دفـتر رسـم سـلطان، أخـبر المحقـق عمـران ويوسـف عـن فكرتـه، وذهـب عمـران مسـرعًا لإحظـار الـدفتر، فـتح المحقـق الـدفتر علـىٰ الرسـمة الاخيرة ليطابق صفات الرجل المرسوم بصفاتهم، كـان الشـخص المرسـوم يشـبه إلـىٰ حـد كبيـر الرجـل الـذي

وصفه عمران طويل، شعره أشقر مجعد، هذا يعني أن انتحار الأب وابنته ليس بانتحار بل جريمة. طوال هذه المدة لم يفكر أحد أن موت الأب جريمة وليس انتحار، ولكن لقد رأىٰ كل من المحقق ويوسف الأب يرمي نفسه مع ابنته فكيف تكون هذه جريمة قتل؟

جلس عمران ويوسف والمحقق أسامة يطابقون صفات الشخص المرسوم مع صفات المشتبه بهم الثلاثة، بدأوا من المشتبه به الأول وهو السيد الأجنبي جون العازف، كان السيد جون يمتلك شعر أشقر مجعد ولكنه ليس طويل مثل ما رسمه سلطان وما رأه عمران، ثم إنتقلوا إلىٰ المشتبه به الثاني السيد نايثن، صحيح أن السيد نايثن طويل وضعيف ولكن ضعفه من مرضه فهو ضعيف جدًا ولا يستطيع قتل حتىٰ حشرة أو التفكير حتىٰ بشيء غير صحته، فهو حتىٰ لو فكر فلا يستطيع التنفيذ، المشتبه الثالث والأخير السيد حسام أحمد، إن السيد حسام أحمد يمتلك شعرًا أشقر ذهبي اللون ومجعد، يتميز السيد حسام بطوله وعضلاته

المرسومة، فلا بد من بناء هذا الجسم لبناء الشهرة معه، في تلك اللحظات كان يوسف يسرح في مخيلته ويفكر ثم أخذ شهيقًا وقال: أتتذكرون عندما قال السيد حسام أنه كان متواجدًا في مقدمة السفينة كي يريح رأسه في نفس الذي قتل فيه الأب السيد جورج وابنته؟

المحقق: أجل، ولقد قتل الأب في مقدمة السفينة، ولكنه لم يذكر تفاصيل الحادثة، فأين كان؟

عاد المحقق للتحقيق مع السيد حسام أحمد، وبدأ بالسؤال: سيد حسام أحمد لقد أخبرتنا أنك كنت في ذلك الوقت «وقت الجريمة» جالسًا في مقدمة السفينة تريح رأسك.

السيد حسام أحمد: أجل هذا صحيح

المحقق: ألم يحدث أي شيء يلفت انتباهك في ذلك الوقت؟

السيد حسام أحمد: لا أتذكر بالضبط، لم يحدث شيء باستثناء أنني سمعت صوت صراخ قريب من مكان جلوسي.

المحقق: ومتىٰ حدث هذا؟

السيد حسام أحمد: في الصباح.

المحقق: وهل ذهبت إلىٰ مصدر الصوت؟

السيد حسام: لا، فهذا ليس من شأني.

المحقق: ألم يتتابك الفضول أبدًا لمعرفة سبب هذا الصراخ؟

السيد حسام: بالواقع لا، لقد عودت نفسي منذ الصغر أن هذه الأشياء لا تعنيني، وأن لا أتدخل في كل كبيرة وصغيرة.

المحقق: هل عرف سبب هذا الصراخ؟

السيد حسام: أجل، فكان بسبب انتحار ذلك الأب.

المحقق: ذلك الأب؟

السيد حسام: أجل، لقد منعه يوسف من الانتحار ذات مرة، والآن حاول الانتحار مثل المرة الماضية ولكن في هذ المرة حقق مبتغاه.

المحقق: لقد أخبرني السيد يوسف أنك لم تكن تحب السيد جورج أو بالأحرىٰ كنت تنعته بالممثل الكاذب، هل هذا صحيح؟

السيد حسام: في تمام الصحة، لأنه كان ممثل بارع يريد لفت الأنظار، وعندما حصل علىٰ هذا الانتباه من السيد يوسف قرر أن يعطي لمسرحيته شيئًا من الحقيقة.

المحقق: وماذا تعني بقولك شيئًا من الحقيقة أتقصد أنه كاذب؟

السيد حسام: يعني، ليس بكاذب بالشخص كان يريد بعض الشفقة والانتباه، وأنا لم أقع في خدعته الرديئة.

ثم أضاف إلىٰ كلامه: لا يجوز الكلام من وراء الميت، ولكني لم أقتنع بتمثيله ولو واحد بالمئة ولم أتح له، كان مثيرًا للشفقة.

ضحك عمران وقال باستهزاء: لا يجوز الكلام وراء الميت، ولم تبقي حرفًا من اللغة لم تقل، أيها الأبله.

لـم يـرتح المحقـق كثيـرًا لأقـوال السـيد حسـام، فمـن المستحيل أنه لـم ينجـذب لمصـدر الصـوت ولـم ينتابـه الفضـول ولـو قلـيلًا، ثـم قـال: بـالطبع هنـاك مـا يخفيـه، ولكني سأكشفه.

****

(كمان)

شكّل كل من عمران والمحقق ويوسف فريقا جيدا، ظن هذا الفريق أنه لم يتبقىٰ سوىٰ القليل لكشف هوية القاتل والانتهاء من كل هذا الرعب والخوف، ولكن حدث ما لم يكن بالحسبان...

كان السيد حسام أحمد هو المشتبه به الرئيسي، لأن صفاته المظهرية هي الأقرب لما رسمه سلطان قبل موته، وأضاف السيد حسام نقطة ضده لصالح المحقق عند قوله أنه لم يهتم لمصدر الصراخ القادم من مقدمة السفينة

بتاتًا، فمن المستحيل عدم اهتمامه، انتبه المحقق أيضًا أن السيد حسام قال أنه تعلم عدم التدخل في ما لا يعنيه منذ الصغر، فماذا يقصد بقوله «منذ الصغر»؟

سأل المحقق السيد حسام عن هذه الجملة، فكان رد السيد حسام: لقد ولدت في بيت تعم فيه المشاكل، وكان سيد المشاكل في هذه العائلة هو أبي، فكان يعنف

ويضرب أمي علىٰ أتفه الأسباب، مثل حرق الطعام أو نسيان شيء ومن ذلك القبيل، فعندما كنت أسألهم عن الذي يجري وسبب الصراخ المستمر، يرد كل منهما «لا تتدخل، هذا لا يعنيك، أو ليس من شأنك»، فتعلمت أن لا أسأل كي لا أضرب، سؤال إن كان علىٰ موضوع مهم أو تافه فهذا لا يعنيني وليس من مسؤليتي، ولن أستفيد إذا سألت عنه

أوتدخلت.

المحقق: صحيح أنك لن تستفيد ولكنك ستفيد، فلو تدخلت وعلمت سبب ذلك الصراخ، كان من الممكن إنقاذ الأب وابنته، ولكنك فضلت أن تريح رأسك علىٰ أن تنقذ أرواح الناس.

رد السيد حسام أحمد والثقة تعلو وجهه: لا يوجد أي صحة في كلامك، فكان المكان يوجد به العديد من الناس، وعلىٰ سبيل المثال الشخص الذي صرخ لطلب النجدة، فلماذا لم يستطع أحد الركاب إنقاذه؟

المحقـق وهـو في قمـة الانزعـاج: كنـت تجلـس طـوال اليـوم في مقدمـة السـفينة، وكـان مـن الممكـن أن تنقـذه ولكنك لم تفعل وتبرر فعلتك أيضًا.

أخـذ المحقـق نفسًـا عميقًـا وأكمـل قـائلًا: لا عليـك مـن الأب وأفكـاره الانتحاريـة ولكـن ابنتـه دانـيلا، كـان مـن الممكن أن تنقذ تلك الطفلة البريئة المسكينة.

السيد حسام أحمـد: أراد الله أن يأخـذ بـأرواحهم اليـوم، قضاء الله وقدره ولا يمكننا فعل شيء.

طــرد المحقــق الســيد حســام أحمــد لأنــه لا يأخــذ الموضوع بجدية تامة، ويظن أنه موضوع تافه غير مهم أكثر من راحته الشخصية.

كانت كل الأعين على السيد حسام فكل الأدلـة تشير إليه.

الثالث من شهر ديسمبر:

لا زال الفريــق يحقــق في هــذه الجــرائم، ولا تســتطيع السـفينة الـذهاب إلـى أحـد المـوانئ بسـبب تمركزهـا

منتصف المحيط الأطلسي، وقد يأخذ الذهاب إلىٰ الميناء عدة أيام، لم يكن هناك خيار آخر للفريق سوىٰ أن يتابعوا التحقيق ومنع حدوث جريمة أخرىٰ، ففي هذا اليوم قرر الفريق الذهاب إلىٰ تناول الغداء والتناقش في آخر جريمة والمشتبه بهم، طلب كل من يوسف وعمران طبق من اللحم وبجانبه بعض الأرز، وفي الطرف الآخر قرر المحقق الإكتفاء بفنجان من القهوة، كان كل من يوسف وعمران منهمر في طبقه وكان المحقق أسامة يحتسي فنجانه، بدأت الفرقة الموسيقية بعزف مقطوعة الصباح، استغرب عمران أن عازف الكمان لم يكن يعزف مع الفرقة فليس من عادته، فهو لم يتغيب قط علىٰ عزف مقطوعة الصباح.

قرر عمران أن يذهب ليرىٰ عازف الكمان بعد الانتهاء من طعامه ويسأله عن سبب عدم قدومه للعزف. انتهىٰ عمران من طعامه وذهب ليتفقد العازف، فطرق علىٰ بابه ثلاث طرقات متتالية ولكن لم يجبه أحد، فقال بينه وبين نفسه: «قد يكون غارقًا في النوم، أو يتدرب في

غرفة الموسيقىٰ، ذهب يتفقد غرفة الموسيقىٰ فلم يجد له أي أثر، لم يعلم عمران ماذا سيفعل فعازف الكمان مختفي ولا يوجد له أي أثر.

«أين اختفىٰ؟» تمتم بها عمران بينه وبين نفسه، جلس عمران يفكر ويتذكر آخر الأحداث التي جرت في السفينة واختفاء عازف الكمان، هرع عمران إلىٰ المحقق ويوسف وقال لهم بنبرة مليئة بالخوف: محقق أسامة، لا يوجد أي أثر لعازف الكمان كأن الأرض انشقت وابتلعته، هل تظن أن القاتل خطفه هو الآخر، أم قتله؟

المحقق: لا تخف يا عمران قد يكون نائمًا، هل ذهبت إلىٰ غرفته؟

عمران: أجل، لقد طرق الباب عدة مرات ولكن لم يجب.

يوسف: لنذهب إلىٰ غرفته لنتأكد.

ذهب الفريق إلىٰ غرفة عازف الكمان وعند وصولهم إلىٰ الباب سمعوا صوت عزف آلة

الكمـان، هنالـك شـخص بـارع يعـزف في الـداخل، طمـأن صـوت الكمـان عمـران وأبعـد شـكوكه، طـرق البـاب مناديًـا علىٰ عـازف الكمـان ولكنـه لـم يفـتح طـرق مـرة أخـرىٰ ولكـن لا جـدوىٰ فعـازف الكمـان لا يـرد ولا يفـتح البـاب، اضـطر المحقـق أن يكسـر بـاب الغرفـة لمعرفـة مـاذا يحـدث في الـداخل، دخـل المحقـق للغرفـة ليتفاجـأ بعـازف الكمـان مخنـوق بأوتـار الكمـان وآلـة الكمـان ملقـاة علـىٰ الأرض مكسـورة وعليهـا بقـع مـن الـدم، وبجانـب السـرير يوجـد راديـو يصـدر مـن صـوت عـزف الكمـان، لـم يكـن صـوت عـزف الكمـان قـادم مـن عـازف الكمـان بل من الراديو، انصدم عمران من شكل

العـازف، فكـان رأسـه ينـزف بسـبب ضـربة مـن الكمـان ووجهـه الأزرق بسـبب اختناقـه مـن الأوتـار، سـببت الأوتار آثارا قوية علىٰ رقبة العـازف بشـكل مخيـف لا يتحمله أصحاب القلوب الضعيفة وذلك مـا حـدث مـع عمران.

لـم يسـتطع تحمـل هـذا المشـهد فخـرج إلـىٰ الخـارج ويبدو علىٰ وجهه علامات الانهيار وخيبة الأمل بعـد أن شعر به لوهلة، صـرخ بقـوة خارجـة مـن الصـميم «مـاذا يريد القاتل مني ماذا فعلت له؟ كل شخص أقابله يقـوم بتعذيبه وقتله بكل وحشية».

ذهب عمران إلىٰ غرفته يفكـر في الحـادث الأألـيم وعـن هدف القاتل التـالي، استصـعب عمـران الأحـداث وهـو يفكـر بهـا وصـوت الكمـان الخـارج مـن الراديـو، فهـذا مجرد تفكير فماذا إن كان تفكيره حدث بالواقع؟

لقد قتل عازف الكمان بكمانه الذي كـان كـل مـا يملـك قبل موته، مات بالكمان الذي كان شغفه الوحيد بحياتـه التي انتهت بطريقة وحشية من قبل شخص همجـي غيـر مبالي لدموعه، كانت أثار دموعه موجودة علىٰ وجنتيه.

****

(مقطوعة الموت)

ظلت مقطوعة الكمان التي كانت في الراديو تراود عمران في أحلامه وأفكاره، فكانت تزعجه لدرجة أنه كان يضرب رأسه في الجدار إلىٰ أن يبدأ بالنزيف، وكان يعتقد أن هذا سيساعده علىٰ إخراج هذه المقطوعة من رأسه، ولكن لا جدوىٰ، كان عمران يفكر دائما «ماذا إن كانت الضحية التالية هو المحقق أو يوسف»، كان دائما يحاول أن يكون بجانبهما؛ فهو لا يستطيع تحمل مأساة أخرىٰ في حياته، كان الجميع يظن أن عمران أصابه الجنون عدا يوسف، فكان يوسف يقف معه دائما ويحاول عدم انتشار هذه الشائعة عنه.

كان كل من المحقق ويوسف جالسين في مقدمة السفينة يحاولان أخذ استراحة نصف ساعة عن التفكير والتحقيق في هذه الجرائم المتتالية، وفي الطرف الآخر كان عمران يحاول التوصل لأي معلومة أو دليل يخص القاتل، فكانت عزيمته قوية جدًا ويريد إيجاد القاتل

بأسرع وقت، ظل عمران يجمع الأحداث في رأسه ويحاول التوصل لشيء مفيد، فكان يكتب جميع الأحداث في دفتره.

في بداية الرحلة قُتل سلطان، ثم تبعه انتحار الأب جورج وابنته، ولكنه لم يكتشف أنه ليس بانتحار؛ بل جريمة قتل، وآخر شخص كان صديقي عازف الكمان الذي قتل بطريقة وحشية، يبدو أن القاتل واحد، ويحاول إيصال فكرة معينة من خلال قتله لهؤلاء الأبرياء، ولكن السؤال الأهم من الضحية التالية؟

وضع عمران قائمة للمشتبهين بهم، ولكن ليس المشتبهين بهم الذين فكر بهم المحقق؛ بل الذين فكر بهم عمران، فكان علىٰ رأس القائمة السيد حسام أحمد ويليه اسم السيدة ماريا التي اكتشفت جثة سلطان، قرر عمران بدء تحقيقه الخاص وبدأ بالسيدة ماريا، بدأ يتتبعها وحفظ روتينها اليومي، لم يجد أي شيء مثير فيما تفعل، فهي تتناول الإفطار ذاته كل يوم (كرواسون وبجانبه كوبا من القهوة الداكنة)، وتجلس أغلبية اليوم

في القاعة السفلية لتستمع بالموسيقىٰ، ومن ثم تذهب إلىٰ النوم في نفس الوقت «الساعة العاشرة والنص»، لم يجد أي شيء غريب أو يجذب الشكوك حولها، فقرر الانتقال إلىٰ السيد حسام أحمد المشتبه به الأول والأقوىٰ، فكل أصابع الاتهام تشير إليه، ولكن أصبح الوقت متأخر جدًا، فالساعة الآن الثانية عشر وخمسة وأربعين دقيقة، والسيد حسام وجميع من في السفينة غارقين في نوم عميق، قرر عمران أن يحقق مع السيد حسام في الغد، أيضًا يريد الذهاب إلىٰ النوم، ولكنه كان يتضور جوعًا، لأنه لم يتناول أي شيء منذ ظهيرة هذا اليوم.

قرر أن يأخذ شطيرة مكونة من الخبز الأسمر بداخلها جبن الحلومي وبعض الطماطم، بجانبها كوب من الشاي الأحمر البلدي يسد به جوعه.

في الصباح استيقظ عمران في تمام الساعة العاشرة والربع وذهب راكضًا إلىٰ القاعة بالتحديد إلىٰ مقعده المعتاد، فوجد يوسف والمحقق قد جلسوا قبله،

فجلس بجانبهم ثم سأله يوسف عن سبب اختفائه بالأمس، فأجاب عمران: لقد كنت جالسًا هنا طوال الوقت فلم تكن لي رغبة بالخروج إلىٰ مقدمة السفينة، وفي منتصف الحوار عزف أحد العازفين نفس المقطوعة التي كانت موجودة لحظة موت عازف الكمان، اقشعر بدن عمران عند وصول المقطوعة إلىٰ أذنيه، فكان يحاول طيلة هذا الوقت أن يخرجها من ذهنه والآن يأتي هؤلاء العازفون بكل ثقة ويعزفونها، نهض عمران وهو في قمة غضبه وقام بكسر جميع الآلات ورميها علىٰ الأرض، كان يبدو علىٰ عمران أنه يمر بنوبة غضب هستيرية ويحتاج لأحد أن يوقفه، ركض يوسف إليه واحتضنه محاولا تهدئته، لكن عمران في قمة الانهيار، كان يوسف يمسكه بكل ما أوتي من قوة إلىٰ أن هدأ عمران، أخذه يوسف إلىٰ غرفته ليستريح، ظل عمران في سريره طوال اليوم وكان يوسف يجلس بجانبه، لم يتحرك بتاتا فكان عمران في أمس الحاجة إلىٰ شخص يشعره بالطمأنينة.

بعد مرور تلك الليلة الصعبة علىٰ عمران ويوسف استيقظ عمران في الصباح وتذكر أنه لم يجمع أي شيء مهم عن السيد حسام أحمد، ولكنه في حالة لا يستطيع تحريك إصبعه حتىٰ، ولا يملك أي طاقة لعمل أي شيء، كان هناك صوت في رأسه يقول له «إذا لم تنهض الآن، من سيأخذ حق المظلومين المقتولين، انهض ودعك من هذا الاكتئاب فهو لن يأخذ بثأرهم»، ولكن قبل أن ينهض عمران بلحظات جاء المحقق وقال: إن السفينة ستصل إلىٰ الميناء خلال الخمسة أيام تقريبًا، يجب أن نجد القاتل بسرعة ليتم تسليمه إلىٰ شرطة الميناء.

رد يوسف: سنحاول إيجاده ولكن عمران لن يتدخل في هذا التحقيق.

قال عمران وهو مصدوم مما سمعه: ولماذا؟

المحقق: آسف يا عمران، من غير الممكن أن تساعدنا، فأنت بحالة غير مستقرة واكتئاب، وهذا سيعطلنا.

بالواقع لم يحزن عمران بتاتًا، بالعكس كان هذا الخبر لصالحه، فالآن يستطيع العمل بحرية تامة ولن يعلم بهذا أحد.

طلب يوسف من عمران أن يبقىٰ في الغرفة وأن لا يخرج منها أبدًا، وافق عمران والابتسامة تصل إلىٰ أذنيه ولكنه يحاول إخفاءها.

بعد خروج المحقق ويوسف من الغرفة انتظر عمران بضع دقائق ثم خرج بكل هدوء ليرىٰ ماذا يفعل السيد حسام أحمد، رأىٰ عمران السيد حسام وهو يتكلم مع أحد الموظفين الذين يعملون في مخازن الطعام، أضاف عمران ما رآه إلىٰ دفتر كنقطة مهمة، بعدها اتجه السيد حسام إلىٰ القاعة وجلس يحتسي كوبا من الشاي الأحمر كالمعتاد، في ذلك الوقت عادت مقطوعة الكمان لذهن عمران، ظن عمران أن المقطوعة ستختفي من رأسه بعد عدة ثوانٍ كالعادة، ولكن كانت هذه المرة مختلفة المقطوعة لا تخرج من رأس عمران، أصبح عمران لا يستطيع الوقوف علىٰ قدميه،

ثم بدأ بفرك عينيه بقوة ولكن الفرك لـم يفـد بـأي شـيء، لأنـه لا يسـتطيع رؤيـة أي شـيء، كـان يحـاول ولكنـه في تلك اللحظة سقط بقوة علىٰ الأرض مغشيا عليه.

بعـد حـوالي سـاعة ونصـف وكـان عمـران في سـريره وبجانبـه يوسـف والمحقـق منتظـرين اسـتيقاظه، أخـبر عمـران يوسـف والمحقـق عـن الـذي حـدث لـه وعـن المقطوعـة ولكـن لـم يبـدو أن هنالـك أحـد مقتنـع بكـلام عمـران فيبـدو أنـه حقًـا أصـابه الجنـون، قـام يوسـف بالعتـاب علىٰ عمـران وتـذكيره أنـه وعـد يوسـف أنـه سـيبقىٰ في غرفتـه وصـاحب عتـاب يوسـف لعمـران جملـة: لمـاذا خرجـت، هـل كـان هنالك سبب طارئ؟

لـم يعلـم عمـران مـاذا يـرد علىٰ سؤال يوسف، فهـو لا يسـتطيع إخبـار يوسـف أنـه خـرج لتتبـع السـيد حسـام أحمد، فقال عمران ليوسف: لقـد خرجـت لأنني كنت أتضور جوعًا.

يوسف: لماذا لم تخبرني في الصباح أنك كنت جائعًا؟

عمران: لا أعلم، لقد نسيت غالبًا.

بعد هذا الحوار غط كل من يوسف وعمران في نوم عميق ليستيقظ عمران في منتصف الليل لحاجته إلىٰ الذهاب إلىٰ الحمام، وفي طريقه شعر بأن هناك أحد يمشي وراءه، التفت عمران ولكن لم يجد أحد، تابع عمران سيره ولكنه كان يشعر أنه مراقب وأن هنالك شخص وراءه، وفي ذلك الوقت سمع عمران صوت مقطوعة الكمان من الخلف، التفت عمران بسرعة ليرىٰ ما الذي يجرىٰ وإذا بيد تحاول خنقه من الخلف، حاول عمران الدفاع عن نفسه ولكنه لم يستطع، فالشخص الذي وراءه قوي البنية، بعد محاولات عديدة استطاع عمران أن يضرب يد هذا الشخص وسحب خاتمه معه، فقام هذا الشخص بضرب عمران علىٰ قدمه وهرب وترك الراديو والمقطوعة وراءه، ركض عمران إلىٰ غرفته وحاول إيقاظ يوسف، كانت علامات الخوف علىٰ وجهه واضحة بعدما أخبره عمران بكل ما حدث معه، ولكن لم يريه الخاتم فأراد

الاحتفاظ بهذا الدليل لنفسه، ذهب يوسف لإخبار المحقق بما حدث وعن الراديو والمقطوعة، فأكد المحقق لهم أنه كان القاتل وأن عمران كان من الممكن أن يكون الضحية التالية، سأل المحقق عمران عن أي دليل استطاع الحصول عليه ولكن قررعمران الكذب والاحتفاظ بالدليل لنفسه.

طلب المحقق من عدة أشخاص حراسة غرفة عمران لكي لا يكون هو الضحية التالية، وطلب من عمران أن لا يذهب إلىٰ أي مكان إلا إذا كان بالضرورة ويجب أن يكون معه أحد الحراس، انزعج عمران لأن هذا سيعرقل خطته، عيّن المحقق أربع اشخاص لحراسة عمران بالتناوب، اثنان منهم يحرسان في الصباح والاثنان الآخران يحرسان في المساء.

في أول ساعة شعر عمران بالملل والإحباط لأن خطته توقفت ولا يستطيع فعل أي شيء الآن، كما أنه لا يستطيع الهروب فهناك عدة أشخاص يحرسونه، قرر عمران فتح دفتر وكتابة آخر الأحداث، وعندما كان

يكتب تذكر أنه رأىٰ ذات مرة القاتل متنكرا وهو يعطي الرسالة للطفل، قرر عمران الكذب علىٰ الحراس وأخبرهم بأنه يريد الذهاب إلىٰ الحمام، في طريقه حاول أن يبحث بعينيه عن أي أثر للطفل لكي يسأله عن الخاتم، وإن كان ذلك الشخص الذي أعطاه الرسالة يرتدي نفس الخاتم، لم يستطع عمران أن يرىٰ الطفل لأن الحارس كان يمشي بجانبه ولم يبتعد ولو لثانية واحدة، فكان متقنًا لما يفعله، قرر عمران أن يلفق كذبة أخرىٰ وهي إخبار الحراس أنه يتضور جوعًا، فرد عليه الحارس: سأحضر لك الطعام إلىٰ غرفتك، حاول عمران أن يقنع الحارس ولكن لا جدوىٰ فالحارس مصر علىٰ كلامه، استسلم عمران وقرر أن يجرب حظه مع الحراس الليليين، حل الليل وأخبر عمران أحد الحراس الليليين بأنه يريد الذهاب إلىٰ الحمام كالعادة فوافق الحارس، وفي طريقهم شم كل من عمران والحارس رائحه بخور، تعرف عمران علىٰ هذه الرائحة فهذه رائحة البخور ذاتها التي استخدمها القاتل

عند قتله سلطان، أخذ الحارس عمران بسرعة إلىٰ غرفته وأقفل الباب عليه، ثم ذهب مسرعًا لإخبار المحقق ويوسف، قال يوسف لعمران وهو في شدة الخوف: لا أعلم ماذا أقول، في كل مرة تخرج من هذه الغرفة يحدث معك شيء، لدىٰ هذا القاتل عزيمة قوية فهو يحاول كل ليلة اختطافك، لماذا يريدك أنت بالضبط؟

المحقق: بالأمس وضع نفس المقطوعة التي كانت موجودة وقت موت عازف الكمان واليوم نفس البخور الذي استخدمه عند قتله لسلطان، فماذا يحاول أن يلمح؟

****

(خطوة جديدة)

في صباح يوم الأحد استيقظ يوسف وجلس في مقدمة السفينة ليشرب كوبه المعتاد من القهوة ويبدأ العمل.

كان ذلك في تمام الساعة السابعة صباحًا ومن المعتاد في ذلك الوقت أن السيد حسام أحمد يقوم بتمارينه الرياضية في هذا المكان، استغرب يوسف أن السيد حسام أحمد لم ينهض وإنه متأخر وهذا ليس من عادته، لم يفكر يوسف كثيرا بما جرىٰ وأكمل شرب كوبه والنظر إلىٰ البحر.

في الجهة الأخرىٰ كان السيد حسام أحمد نائمًا في غرفته نومًا عميقا، فطرق أحد علىٰ بابه عدة مرات كانت كافية لإيقاظ السيد حسام، فاستيقظ السيد حسام وذهب مسرعًا ليرىٰ كم الساعة ويفتح الباب، إنصدم السيد حسام أن الساعة الآن هي الثامنة والنصف وأنه اليوم متأخر كثيرًا ولكنه لم يهتم كثيرا وذهب ليفتح الباب، وإذا بشخص قال له: «لما تأخرت اليوم فليس من عادتك أن تتأخرك عن التمارين الرياضية يا سيد

حسام؟» وبعدها ضرب السيد حسام أحمد ضربة قوية علىٰ رأسه أفقدته وعيه، عندما استيقظ وجد نفسه مربط الأيدي ورأسه ينزف وفمه مغلق بشريط لاصق بقوة، حاول فك وثاقه ولكنه لم يستطع فالشخص الذي ربط هذا الحبل في قمة المهارة، تمتم السيد حسام أحمد بينه وبين نفسه «أين أنا، لماذا اختطفني أنا بالتحديد؟» حاول السيد حسام معرفة أين هو بالضبط، فاكتشف أنه في أسوأ مكان علىٰ السفينة وهو غرفة المحركات، لم يعلم السيد حسام ماذا يفعل بالظبط فهو لا يستطيع الحركة أبدًا، كان الجو حار جدًا ومن الممكن أن يموت من شدة الحر.

ظل حسام أحمد مدة تتراوح بين الثلاث ساعات تقريبًا ينتظر مجيئ القاتل، دخل القاتل إلىٰ غرفة المحركات ومعه طبق مليئ بالطعام وأجبر السيد حسام أحمد علىٰ تناوله كله وإلا سوف يقتله، استسلم وبدأ بتناول هذا الطعام وكان علىٰ وشك الاستفراغ من كمية الطعام الهائلة، فمن المستحيل لأي إنسان أن يأكل كل

هذا الطعام وحده، لم يستطع حسام أحمد إكماله فنظر إلىٰ الخاطف وسأله من أين أتىٰ بكل هذا الطعام؟ فرد الخاطف عليه: ألم تستطع معرفة ما هذا الطعام؟ هذا الطعام من سلسلة المطاعم الشهيرة الخاصة بك، ثم ضحك ضحكة سخرية وأكمل: أشك أنك لم تجرب الأكل من مطعمك قط يا صاحب أشهر سلسلة مطاعم في التاريخ.

لم يجد حسام أحمد الرد المناسب لأنه لا يريد أن يجادل عديم الإحترام هذا فيغضب عليه ويقتله ففضل السكوت علىٰ الرد.

نظر القاتل إلىٰ حسام أحمد وهو منتظر أن يرد علىٰ ما قاله ولكنه علم أن السيد حسام فضل السكوت علىٰ الرد، فقال وهو ضاحك لحسام: السكوت علامة الرضا، وهذا يعني أنك موافق علىٰ ما قلته، لماذا لم تكمل طعامك ألم يعجبك ما تقدمه للناس؟

حسام أحمد: لا أستطيع أكل المزيد من الطعام، بل من مستحيل أن أكمله.

الخاطف: ألا تعلم أنه لا يوجد شيء مستحيل في هذه الحياة؟

ثم وجه سكينته إلىٰ وجه حسام وقال: هل من مستحيل يا حسام؟

خاف السيد حسام وحاول أن يكمل طعامه لكي يبقىٰ علىٰ قيد الحياة وليتخلص من هذا المتعجرف الذي يقف أمامه. أنهىٰ السيد حسام طعامه بعد مرور أكثر من نصف ساعة، ثم أخذ الخاطف الطبق وخرج وعلىٰ وجهه علامات السخرية علىٰ حالة حسام أحمد.

في الجانب الآخر من السفينة كان المحقق ويوسف يبحثان عن حسام أحمد ولكن لا جدوىٰ، فيبدو أن الأرض انشقت وابتلعته، قال يوسف: مرت عدة ساعات ولا يوجد أي أثر، أين هو؟

المحقق: لا أعلم، ولكن ألم تفكر أننا قد وضعنا السيد حسام أحمد كمشتبه به رئيسي فكيف يختفي الآن؟

يوسف: أتقصد أنه قد أصبح الضحية التالية؟

المحقق: هذا ما يبدو.

ذهب يوسف والمحقق إلىٰ عمران لعل وعسىٰ أنه قد يساعدهم وأنه يعلم شيء قد يفيد، سأل يوسف عمران: ألم ترَ السيد حسام أحمد اليوم؟

عمران: بالطبع لا، فأنا مثل المزهرية في هذه الغرفة التي أقفلتموها علي، ولكن لماذا هذا السؤال ماذا جرىٰ له؟

المحقق: لقد اختفىٰ السيد حسام أحمد في صباح هذا اليوم ولا يوجد أي أثر له.

عمران: ولكن ألم يكن ألمشتبه به الأول والرئيسي؟

يوسف: من مشتبه به رئيسي إلىٰ الضحية التالية، سبحان مغير الأحوال.

المحقق: عمران، عندما كنت ذاهبًا إلىٰ الحمام قبل عدة أيام وحاول شخص خنقك من الوراء، أكانت رائحته تشبه السيد حسام أحمد؟

عمران: بالواقع لا، لم أشتم غير رائحة المخدر الذي كان يحاول تخديري به.

المحقق: ألم يلفت انتباهك أي شيء، أو لم تستطع أخذ أي دليل منه؟

تذكر عمران الخاتم وأنه يريد أن يحتفظ به لنفسه، أخذ نفسًا عميقًا ثم قال: لا لم أستطع الحصول علىٰ أي دليل، فهو بارع جدًا في ما يفعله.

كان في ذلك الوقت السيد حسام نائم من كثرة التعب، فدخل عليه الخاطف وركله بقدمه، استيقظ السيد حسام وهو عصبي للغاية من حركات هذا الخاطف المستفز ولكنه يحاول مجاراته فقال له: أجئت لكي تقتلني بطعامك؟

وضحك ضحكة صغيرة وأكمل: كيف استطعت إحضار كل هذا الطعام من مطعمي ونحن في منتصف البحر؟

رد الخاطف: هناك ما يسمىٰ بتجميد الطعام أيها الأبله.

السيد حسام أحمد: أنت الأبله يا هذا.

غضب القاتل من السيد حسام وركله علىٰ وجهه بحذائه المتسخ ذو الرائحة الكريهة، أمسك حسام

أحمد أنفه النازف ليحاول إيقاف الدم، أعجب القاتل شكل حسام وهو متألم من شدة الضربة، فقرر أن يضربه مرة أخرىٰ، فقام بضربه بمنتصف وجهه عدة مرات إلىٰ أن اُزرق وجهه وفقد وعيه، ضحك الخاطف علىٰ حالة حسام أحمد وقال بسخرية: عندما تستيقظ سأبرحك ضربًا مرة أخرىٰ.

كان عمران يسرح في فكرهِ عن ماذا يحدث للسيد حسام أحمد في هذه اللحظة، وإذا لم يكن هو القاتل فمن يكون، أو يمكن أن تكون هذه لعبة منه حتىٰ يبعد الشك عن اسمه، هذه كلها تعد احتمالات لا أكثر، فلا أحد يعلم ماذا حدث للسيد حسام أحمد غير السيد حسام أحمد بذاته.

استيقظ السيد حسام وهو يشعر بآلام مبرحة علىٰ وجهه وجميع أنحاء جسمه، فتذكر أن الخاطف قام بضربه وهو في قمة الاستمتاع، لم يعلم السيد حسام كم من الوقت وهو متواجد هنا لأنه لم يلبس ساعته أو بالأحرىٰ لم تكفه الدقائق لارتداء ساعته، فكر في طريقة

للهروب والتضليل علىٰ هـذا القاتـل المتحجـر عقليًـا، حاول فـك وثاقـه ولكـن لـم يسـتطع وكـان يعلـم أنـه لـن يستطيع لأنـه حـاول فكـه مـرارًا وتكـرارًا، قـرر أن ينتظـر ليعـرف أشـياء أكثـر عـن شخصـيته وتصـرفاته المختلـة ليساعده ذلك علىٰ وضع خطة منطقية وجيدة للهروب، لأنه لا يريد أن يهـرب ويمسـك بـه فيعذبـه القاتـل أكثـر، مرت دقائق والسيد حسـام أحمـد يفكـر بالخطـة إلـىٰ أن دخـل الخـاطف عليـه ومعـه صـحن كبيـر مغلـف بـورق القصدير، تنهد السيد حسام أحمـد ثـم قـال: هـل سـآكل كل هذا وحدي مرة أخرىٰ؟

الخاطف: ستأكل إلىٰ أن تتقيأ مـن كثـرة الأكـل، ثـم لـن تستطيع إكمال ما في الصحن، فأبرحـك ضـربًا لأنـك لـم تكمل الأكل كله، فيغمىٰ عليك مـن شـدة الضـرب، ثـم أنصرف بهدوء تام، هل أعجبـك المشـهد الـذي أعددتـه أم لا؟

حسـام أحمـد وهـو يحـاول مجـاراة الخـاطف: جميـل ومنطقـي، ولكـن كيـف لـك أن تكـون واثـق أننـي لـن أكمله؟

رد الخاطف وعلىٰ وجهه نظرة الشفقة والاستهزاء: أنا واثق وعلىٰ علم مسبق حتىٰ، فأنا مستعد لأن أراك تعاني بسبب أساليب الضرب التي سأطبقها عليك.

حسام أحمد: ولماذا كل هذه الثقة العمياء؟

الخاطف: لأنك لا تعلم ما في الطبق السحري.

فتح الخاطف الطبق ليُرىٰ السيد حسام أحمد قطع من خروف شبه نيء، تفوح منه رائحة نتنة ومن المستحيل لأي من بني أدم أن يأكله.

تقيأ السيد حسام عندما شم رائحة هذا الطعام الذي يشبه الجيفة.

ضحك الخاطف ضحكًا هستيريًا ثم قال: أتذكر أنني أخبرتك أنك ستأكله حتىٰ ستتقيأ من كثرة الأكل، أعترف أنني كنت مخطئا، ولكنك غلبتني هذه المرة وتقيأت قبل أن تأكله، أحسنت.

كان يبدو علىٰ وجه السيد حسام أحمد علامات الإشمئزار والتقرف، فعندما رفع رأسه ناحية خاطف

ضحك الخاطف وقال: أظن أنك اخترت الضرب علىٰ أكل هذا.

رد السيد حسام وهو متعصب من هذا الخاطف المتعجرف: أفضل الموت علىٰ أكل هذه الجيفة النتنة.

الخاطف: هذا يعني أنك تريد أن تنضرب بشدة، لا تقلق فلدي طرق جديدة أطبقها عليك، أتريد البدء بالأولىٰ أم الثانية يا سيد حسام أحمد؟

حسام أحمد: لا يهم، اضرب وأرني ما تستطيع، أرني بالأفعال لا بالكلام.

بدأ الخاطف بإخراج حجارة كان يخبئها في جيب سترته، وكان لدىٰ هذه الحجارة أطراف حادة مكسورة، ربط الخاطف هذه الحجارة علىٰ كفه الأيمن بإحكام وبدأ بضرب السيد حسام أحمد علىٰ وجهه.

نزف وجه السيد حسام من قوة الضرب ومن حواف هذا الحجر إلىٰ أن تشوه أغلب وجهه، ولكنه كان صامدًا مقاومًا لكل هذا الضرب والتعذيب، فكان

يتخيل مع كل ضربة كيف كان يعذب الضحايا الذين كانوا قبله وكيف كان يعذب تلك الطفلة الصغيرة المسكينة، وهل كان يعذبها أمام الأب ليعذبه عذابًا نفسيا.

ضحك السيد حسام أحمد وقال: هل كان والداك يعذبانك حتىٰ أصبحت بهذ الحالة التي يرثىٰ لها؟

غضب الخاطف من كلام السيد حسام أحمد وصرخ في وجهه: لا يحق لك الكلام عن والديّ وعلىٰ تربيتهما لي، ثم بدأ يضرب بقوة إلىٰ أن تهشمت جمجمة السيد حسام وبدأ بالنزيف ولم يبق مكان صالح للضرب.

ظن الخاطف أن السيد حسام أحمد أغمي عليه، فخرج بكل هدوء وبرود وكأنه لم يكن يعذب السيد حسام أحمد بل كان يحتسي الشاي معه.

في ذلك الوقت كان هناك نقاش حاد بين عمران والمحقق كان سببه أن عمران يريد الخروج من الغرفة والبحث عن السيد حسام أحمد، ولكن

المحقق مُصر علىٰ أن يبقىٰ في غرفته، ولكن لا جدوىٰ لأن عمران هو الآخر مُصر علىٰ الخروج، قال عمران محاولًا إقناع المحقق بقوله: أمهلني يومين وسأُخرج لك السيد حسام أحمد من تحت هذه السفينة.

رد المحقق: أخاف ان يأخذك الخاطف أنت الآخر ولا أحد سيستطيع إخراجك من تحت السفينة.

رد عمران بكل ثقة نفس: من يأخذني أنا؟ لا مستحيل أنا سأخطفه إن قرر أن يختطفني هذا المتعجرف.

بعد دقائق من النقاش وافق المحقق بشرط أن يجد عمران السيد حسام أحمد، وأمهله حتىٰ فجر الغد، وافق عمران وهو واثق أنه سيجده وقال: سأحضره وستنصدم من قدراتي أيها المحقق.

المحقق: لا حيلة لدي اذهب، ولكن إذا تم خطفك سأبقيك هناك ولن أبحث عنك.

عمران وعلامات الثقة تنبعث منه: إذا تم اختطافي.

بدأ عمران رحلة البحث عن السيد حسام أحمد وكله أمل أنه سيستطيع إيجاده ومعرفة اللغز الذي يدور في هذه السفينة، بدأ من غرفة السيد حسام وبدأ التفتيش ومحاولة جمع أي دليل، عند دخوله من الباب انتبه أن سرير السيد حسام أحمد غير مرتب، وهذا ليس من عادته فهو أكثر إنسان مهووس بالنظافة والترتيب، لم يلفت انتباهه أي شيء آخر، ظل يبحث ولكن لم يجد شيء إلىٰ أن وقعت عينه علىٰ الكوميدينو، كان يوجد عليه ساعة السيد حسام أحمد، فمن الغريب أن السيد حسام أحمد لم يرتد ساعته، ففي مرة من المرات أخبر السيد حسام أحمد يوسف وعمران أنه لا يستطيع الخروج لأي مكان دون ساعته، تأكد عمران في وقتها أن شيء ما حصل للسيد حسام أحمد بعد ما كان يظن أنها كانت تمثيليه منه لإبعاد الشك عنه، ذهب عمران مسرعًا إلىٰ المخزن الذي قتل فيه سلطان ليتأكد أن السيد حسام أحمد موجود فيه أم لا، وكما توقع لم يكن موجود.

بحث عمران في جميع المخازن الموجودة في السفينة ولكنه لم يجد أي أثر للسيد حسام أحمد، ظل يفكر ويفكر «أين يمكن أن يكون السيد حسام؟ وماذا يفعل القاتل له؟ هل يعذبه كثيرًا أم قتله منذ زمن طويل أم أخذه كرهينة لإخافتهم؟» فكر عمران في سؤال جميع من في السفينة، ولكن اتفق الجميع أنهم لا يرون السيد حسام أحمد منذ عدة أيام.

كان السيد حسام أحمد في ذلك الوقت يتلوىٰ من شدة الألم، وكان في شدة الخوف لأن من الممكن أن يدخل القاتل في أي لحظة، كانت درجة حرارة الغرفة مرتفعة جدًا ولا يستطع حسام أحمد الصمود فيها أكثر، قطرات العرق التي تخرج من جبينه وتصل إلىٰ جروحه كانت مؤلمة جدًا، وبالنسبة إلىٰ وجهه فهو لا يستطيع الرؤية جيدًا، فالخاطف كان يضرب عيناه بالحجارة بأقوىٰ ما لديه، لا يستطيع التنفس أيضًا لأن أنفه مكسور، فأصبح التنفس عليه صعبًا جدًا فهو يحاول التنفس من فمه بصعوبة.

سمع السيد حسام خطوات الخاطف وهو قادم إلىٰ غرفة المحركات، خطوة وراء خطوة يقترب الخاطف إلىٰ أن وصل وأمسك بمقبض الباب وفتحه بأقوىٰ ما لديه، رفع السيد حسام أحمد رأسه ليرىٰ ماذا أحضر له الخاطف هذه المرة ولكن...

****

(فاء ألف)

رفع السيد حسام أحمد رأسه ليرىٰ ماذا يحمل القاتل هذه المرة من طعام ولكنه تفاجأ بصوت يصرخ باسمه:

«السيد حسام، السيد حسام أحمد هل أنت هنا؟ سيد حسام أحمد، هل تسمعني؟

انصدم حسام أحمد فهذا ليس صوت القاتل بل عمران، صرخ السيد حسام أحمد بأقوىٰ ما لديه: عمران، عمران أنا هنا.

ركض عمران باتجاه صوت السيد حسام، ليتفاجأ بشكل السيد حسام، فقد كان مشوها بالكامل، ذهب راكضا لفك وثاقه وسؤاله عن من الذي فعل هذا به، أجاب السيد حسام: لم أرَ شكله، ولكنه طويل ويملك صوتا غليظا وأثر لجرح قديم علىٰ يده...

أحس السيد حسام أحمد بصوت خطوات قادمة باتجاههم، فأخذ شهيقا وقال: بسرعة يا عمران إنه قادم.

خرج كل منهما بسرعة من الباب الآخر وذهبا مباشرة إلىٰ غرفة عمران للاختباء منه، جلس حسام أحمد علىٰ سرير عمران وطلب منه مرآه ليرىٰ وجهه.

أمسك بالمرآه وكلتا يداه ترتجفان، رفعها ونظر إلىٰ

وجهه، لم يعلم ماذا يقول فقد تشوه وجهه وانكسر أنفه وانتفخت عيناه الصغيرتان، أحضر عمران منديلًا مبللًا بالقليل من الماء ليمسح به وجه حسام أحمد، كان يبدو علىٰ عمران الصدمة من شكل حسام أحمد وعلامات التعذيب القوية، ولكنه حاول البقاء صامدًا ليساعده علىٰ تخطي صدمته، بدأ بمسح وجه حسام بخفة يد حتىٰ لا يؤلمه، فبدأت تظهر أثار الضرب بشكل أوضح والسيد حسام لا يزال ممسكًا بالمرآه وموجهها علىٰ وجهه.

في ذلك الوقت دخل يوسف علىٰ غرفة عمران فتفاجئ بوجود السيد حسام أحمد، طلب عمران من يوسف أن ينادي المحقق أسامة، وعند حضور المحقق ويوسف

اكتمل الفريق وبدأ حسام أحمد بسرد كل ما حدث، لم يستطع عمران إمساك دموعه فبدأت بالانهمار.

في ذلك الوقت كان القاتل مصدوما من هروب السيد حسام ولا يعلم ماذا يفعل وكيف سيجده، ظل يتمتم بينه وبين نفسه: «كيف إستطاع حسام أحمد الهرب ومن الذي ساعده على الهروب؟»، بقيت هذه الأسئلة معلقة من دون أجوبة في عقل الخاطف.

انتهى عمران من مسح آثار الدم من على وجه السيد

حسام، وكان السيد حسام أحمد منهار نفسيًا وجسديًا من الأحداث التي جرت في السفينة وما حدث له، سأل المحقق السيد حسام أحمد عن شكل الجرح الموجود على يد الخاطف، فرد حسام أحمد: يبدو أنه أثر من ضربة سكينة، أتوقع أن أحد والديه قد ضربه بها.

المحقق أسامة: والديه؟

السيد حسام أحمد: أتوقع والديه، يبدو أنه حظى بطفولة سيئة وقاسية.

كان في ذلك الوقت عمران هادئًا يفكر بأن يخبرهم بالخاتم، فقرر أن يجمع جميع الأحداث والأدلة ومن ضمنها الخاتم ولكن هذه المرة مع الفريق وليس وحده.

بدأ عمران بقوله: ما رأيكم أن نرتب الأحداث والأدلة؟

المحقق: هل لديك ورقة وقلم لكتابتها بالتسلسل؟

أحضر عمران دفتره وفتح علىٰ ورقة جديدة وبدأ بكتابة ما يقوله المحقق.

المحقق: أولا مقتل سلطان، فقد خُطف عدة أيام ثم وجد مقتولًا، ثم يليه مقتل الأب جورج وابنته دانيلا الذي كان أشبه بالانتحار، وأضف يا عمران أن القاتل كان يرسل رسائل علىٰ إنها رسائل من الأب جورج، الجريمة الثالثة كانت عازف الكمان وقد قتل ضربًا بكمانه وخنقًا بأوتار الكمان، وكانت هناك معزوفة وضعها في الراديو، بعدها حاول القاتل استقصادك كضحية رابعة بوضع المعزوفة التي كانت موجودة في

مسرح جريمة عازف الكمان ثم البخور الذي كان في مسرح جريمة سلطان، يلي ذلك اختطاف السيد حسام أحمد وتعذيبه ويبدو أنه أراد قتله، ولكن كان السيد حسام أحمد المحظوظ الوحيد لأنه الناجي الوحيد من مخالبه.

عمران: هناك ما يجب أن أخبركم عنه.

أجاب يوسف: وما هو يا عمران؟

عمران: هل تتذكرون عندما حاول الخاطف أن يخنقني في تلك الليلة؟

المحقق: أجل.

عمران: كنت أحاول إبعاد يداه عن وجهي، فقمت بسحب خاتمه بالخطأ والآن الخاتم موجود عندي.

المحقق: أتقصد أنك أخفيت هذا الدليل عنا؟ كيف تجرأت يا عمران، تعرف أننا نحاول فعل أي شيء للحصول على دليل واحد، والآن تخبرنا أنك تملك دليلًا وتخفيه عنا؟

عمران: كنت أظن أن السيد حسام أحمد هو القاتل، وأنك لا تحاول أن تمسكه، فقررت أن أحقق وحدي وأن أجد الأدلة وحدي، ولكن لم أقصد ذلك والآن أنا في قمة الندم علىٰ ما فعلت.

يوسف: أين الخاتم يا عمران؟

أخرج عمران الخاتم من الدرج وأعطاه إلىٰ يوسف. تمعن يوسف النظر إلىٰ الخاتم محاولًا إيجاد أي دليل يشير إلىٰ هوية القاتل، نادىٰ يوسف المحقق ليريه أنه قد وجد حرفين محفورين علىٰ الخاتم، نظر المحقق إلىٰ الخاتم ليكتشف أن الحرفين هما (ف) و(أ)، ظل يفكر بالأسماء التي تبدأ بحرفي الفاء والألف، حاول عمران أن يعطي بعض الأسماء مثل فارس، فاخر، فاتح، فاروق الخ...

قرروا أن يتم الرمز للقاتل بأول أحرف له (القاتل فاء ألف)، في ذلك الوقت جاءت فكرة للسيد حسام أحمد ألا وهي أن يذهبوا إلىٰ أمن السفينة لتحقق من أسماء الأشخاص الموجودين علىٰ متن السفينة، بدأ عمران

بتسجيل جميع الأسماء التي تبدأ بحرف الفاء ولكن قاطعه المحقق بقوله: من الممكن أن يكون قد دخل باسم مزيف؟

عمران: ومن الممكن أن يكون قد دخل باسمه الحقيقي.

استطاع عمران جمع سبعة أسماء ومن ضمنهم «فالح أحمد، فتان الأسعد، فاروق الأكرم...

كانت أغلب هذه الأسماء عائدة لأشخاص كبار السن ومن المستحيل أن يكون أحدهم قاتلًا ما عدا: فاروق وفادي وفارس.

قال عمران: لا أعتقد أن أحدهم هو القاتل فاء ألف.

يوسف: لنجعل السيد حسام يتعرف عليهم.

بدأوا بالسيد فاروق، قال موظف الأمن: السيد فاروق شخص أربعيني، نشيط وبشوش وليس لديه أي مشكلة مع أي شخص بالسفينة، يمتلك جسم قوي البنية وشعرًا أسودا مع بعض خصلات الشيب.

نظر السيد حسام أحمد إلىٰ السيد فاروق ولكنه لا يبدو كالقاتل، فكر بالذهاب ومصافحته ليرىٰ إذا ما كان يملك أثرًا في يده أم لا ولكن المحقق أمسك به وقال: لا يمكنك الذهاب، لنجعل أحدًا آخر يذهب.

حسام أحمد: ولماذا؟

المحقق: ألا تتذكر أن القاتل يبحث عندك؟

قرروا إرسال نادل ليأخذ طلبه وينظر إلىٰ يده، عندما عاد النادل قال: ليس لديه أي علامات علىٰ كلتا يديه.

السيد حسام أحمد: حان دور السيد فادي.

قال موظف الأمن: السيد فادي هو الطاهي الخاص بالسفينة، يقضي أغلب يومه يحضر الطعام، لا أعتقد أن هناك حاجة لوصفه، فجميعكم تعرفون شكله.

يوسف: لا أعتقد أنه هو، فأنا أراه في المطبخ دائمًا.

السيد حسام أحمد: وأنا أيضًا، والطاهي يمتلك شعرًا أسودا علىٰ عكس القاتل الذي يمتلك شعرًا أشقرًا ذهبيًا.

أضاف السيد حسام أحمد: ولكن القاتل كان يحضر لي الكثير من الطعام فمن الممكن أن يكون أحدًا من مساعديه.

ذهب المحقق إلىٰ المطبخ، وأول ما فعله السيد حسام أحمد هو فتح المجمدة ليرىٰ إذا ما كان قول القاتل صحيح، بأنه يجمد بعض الطعام من مطعم السيد حسام.

انصدم السيد حسام أحمد بأن المجمدة لا يوجد بها غير السمك والقليل من اللحم، ولا يوجد أي أثر لأي من الطعام الخاص بمطعم السيد حسام أحمد.

بدأ المحقق باستجواب الطاهي: ماذا تفعل أيها الطاهي في يومك؟

الطاهي: لماذا؟

المحقق: هناك تحقيق مع جميع ركاب السفينة، والآن أجب عن سؤالي.

الطاهي: أنا أقضي أكثر من سبعة عشر ساعة في الطبخ يوميًا.

المحقق: والسبع ساعات المتبقية؟

الطباخ: خمس ساعات أكون نائمًا فيها، والساعات المتبقية مقسمة بين ساعات العمل لآخذ فيها استراحة.

أخذ المحقق شهيقًا ثم أكمل: هل لك أن تناولني هذا المنديل لو سمحت.

عندما خرج سأل يوسف المحقق: هل استطعت النظر إلىٰ يده؟

المحقق: لم يكن هناك أي جرح في يده، ولكن كان هناك حرق من الزيت علىٰ يده اليمنىٰ.

عمران: من الطبيعي أن تجد حرقًا علىٰ يد طباخ.

حسام أحمد: تبقىٰ شخص واحد، فارس.

المحقق: من هو السيد فارس؟

موظف الأمن: السيد فارس هو شخص في الخمسين من عمره، لديه مرض الوسواس القهري، كان من المستحيل أن يركب علىٰ متن هذه السفينة لولا زوجته،

فقد أقنعت القبطان أنه لن يسبب أي ضرر لأي شيء بالسفينة أو أي شخص.

المحقق: من الممكن أن يكون هو.

السيد حسام أحمد: بالواقع لا أظن أنه القاتل، ولكن لنذهب ونراه.

كان السيد فارس في ذلك الوقت في غرفته، كانت زوجته تحاول تهدئته بعد أن كان يغسل يده لأكثر من ربع ساعة، كانت هذه من أعراض الوسواس القهري وظهرت بعد أن لمس إصيصًا فخاريًا كان عليه القليل من الغبار، في ذلك الوقت طرق عمران باب غرفة السيد فارس وزوجته. فركضت زوجته تفتح الباب، كان أول ما قالته زوجة السيد فارس عند فتحها الباب: ماذا تريدون، ألا ترونني أحاول تهدأته؟ فهو لم يفعل شيئًا خاطئًا حتىٰ تصدروا كل هذه الضجة؟

قال يوسف وهو مصدوم: لا لا، نحن هنا للتكلم معك أنت والسيد فارس بموضوع آخر.

زوجة السيد فارس: وما هو الموضوع المهم الآن؟
عمران: قبل أن نتكلم بالموضوع يجب أن يكون السيد فارس موجود، ماذا يفعل هو الآن؟
زوجة السيد فارس: إنه يغسل يديه.
عمران: حسنًا لننتظره.
زوجة السيد فارس: تنتظره؟ إنه يغسل يديه منذ أكثر من عشرين دقيقة.
المحقق: بسبب الوسواس القهري؟
زوجة السيد فارس: أجل، لم أستطع تهدئته أبدًا.
يوسف: ولماذا يغسل يديه؟
زوجة السيد فارس: لقد أمسك إصيصًا فخاريًا يوجد عليه القليل من الغبار.
يوسف: هل أستطيع الذهاب إلىٰ عنده؟
ذهب يوسف باتجاه المغسلة ليرىٰ السيد فارس، ولكنه سمع صوت ارتطام رأس السيد فارس، فهرع ليعرف ما الذي حدث، ليتفاجأ بأن السيد فارس تسمم من أحد المواد الكيميائية الموجودة في الصابون، كان يوسف

يصرخ بأقوىٰ ما لديه كي يسمعه الجميع، كان شكل يدي السيد فارس مخيف جدًا، فيبدو أن لديه حساسية من هذه المادة، في ذلك الوقت بدأت زوجة السيد فارس بالبكاء بشكل هستيري علىٰ شكل زوجها وحالته، فطلب يوسف من عمران إخراجها من الغرفة، وطلب من المحقق إحضار الطبيب، في ذلك الوقت بدأ يوسف بغسل كلتا يدي السيد فارس بماء نقي إلىٰ أن يصل الطبيب، لم يستغرق وصوله وقتًا طويلا.

عند انتهاء الطبيب طلب من يوسف أن ينتبه له وأن يمنعه من إمساك الصابون مرة أخرىٰ، وأعطاه صابون طبيعي بديلًا عن الصابون الكيميائي، أخبر يوسف زوجة السيد فارس عن التعليمات الذي أخبره الطبيب عنها وخرجوا من الغرفة لكي يستريح السيد فارس.

اتفق الجميع أنه من المستحيل أن يكون السيد فارس هو القاتل، فإذا كان لديه الحساسية من بعض المواد الكيميائية بالصابون فكيف كان يستخدم المخدر لتخدير ضحاياه؟

****

(خطة باء)

كـان الموضـوع مشوشًـا للجميـع وبـالأخص المحقـق أسـامة، لأن هـذا الموضـوع أصبح عبئـا عليـه، ويجـب عليه أن يأخذ بثأر هؤلاء المساكين.

لـم يفكـر أو يتخيـل شـخص في هـذه السـفينة أن تتحـول هذه الرحلة من رحلة ترفيهية تبعـد عـنهم متاعـب الـدنيا ومشقاتها إلىٰ مجزرة، وتزيـد متاعـب وهمـوم عـائلاتهم وخوف ركاب السفينة.

في حـين مـا كـان كـل مـن المحقـق وعمـران ويوسـف يحاولون الإمساك بالقاتل، كان كابتن السفينة قد أرسـل بلاغ للفريق البحري الفيدرالي.

الساعة الثالثة والنصف من صباح يوم الأربعاء:

وصل الفريـق البحـري الفيـدرالي إلـىٰ سـفينة مـاردولا، كان الفريق مكون من خمسة أشخاص يترأسهم الرقيب أشرف ومساعده وسيم، دار حوار بـين الفريـق البحـري وقبطان السفينة...

القبطان: يجب علىٰ كل فرد منكم إخفاء هويته، سيد وسيم أفكر أن تكون مساعد القبطان، وأنت أيها الرقيب أشرف ستكون موظف في القاعة، أما بالنسبة إلىٰ الثلاثة سيتقسمون بين المطبخ والمخزن، والطابق السفلي للطبقة النائية.

الرقيب أشرف: لماذا قررت وضعي كموظف أمن في القاعة؟

القبطان: بالواقع أغلب الضحايا كانوا يقضون أغلب أوقاتهم في تلك القاعة ما عدا السيد حسام أحمد.

الرقيب أشرف: ومن هو السيد حسام أحمد؟ وماذا حدث له؟

القبطان: كان الضحية الأخيرة للقاتل، ولكنه استطاع الهرب وإنقاذ نفسه.

وسيم: وماذا حدث له؟

القبطان: بالواقع لا يعرف أحد ماذا حدث له، باستثناء المحقق والسيد يوسف بدر وصديقه عمران.

الرقيب أشرف: ومن هؤلاء؟

القبطان: لسوء الحظ لم يكن هناك أحد يستطيع البحث والتحقيق في هذا الموضوع ما عدا المحقق أسامة، فلم يركب أحد من الشرطة أو من المحققين غيره، فأعد فريق يساعده علىٰ البحث عن القاتل، الفريق يتكون من أربعة أشخاص وهم المحقق أسامة والسيد يوسف وعمران والسيد حسام أحمد.

الرقيب أشرف: وكيف استطاع السيد حسام أحمد الهرب من القاتل؟

القبطان: لا أعلم إذا كانت معلوماتي صحيحة، ولكن سمعت أن عمران قد أنقذه، لا أعلم كيف فكر في الذهاب إلىٰ غرفة المحركات.

وسيم: أكان السيد حسام أحمد محتجزًا في غرفة المحركات؟

القبطان: أجل، وعندما سمعت بذلك طلبت بإغلاق جميع غرف المحركات والمخازن لكي لا تتسنىٰ أي فرصة للقاتل للقتل في هذه الأماكن.

الرقيب أشرف: وأين أستطيع إيجاد السيد حسام أحمد؟

القبطان: لا داعي لأن تبحث عنه، فستجده في القاعة صباحًا يحتسي فنجان القهوة الخاص به.

في الصباح بدأ كل من الفريق البحري الفيدرالي بمهمته، فكان الرقيب أشرف أول من بدأ بمهمته، فكان قد اتجه في تمام الساعة الخامسة فجرًا إلىٰ القاعة وبدأ بالانتظار.

في تمام الساعة السابعة صباحًا أخذ عمران دفتره واتجه إلىٰ القاعة ليجلس مع الفريق، كان يوسف والمحقق جالسين علىٰ المقعد المعتاد وأمام كل منهما كوبا من القهوة يستفتح به يومه، جلس عمران بجانبهما وبدأوا بالتناقش ووضع خطة للإمساك بالقاتل، بالبداية عم الصمت بينهم فكل واحد منهم يحاول الخروج بخطة جيدة.

في ذلك الوقت كان الرقيب أشرف يختلس النظر ويحاول البحث عن السيد حسام أحمد، وإذا بالسيد

حسام أحمد يدخل القاعة متجهًا إلىٰ طاولة الفريق، تمتم الرقيب أشرف بينه وبين نفسه: «هل هذا هو السيد حسام أحمد الشهير؟ فهو يشبه إلىٰ حد كبير الشخص الذي وصفه القبطان وتوجد علىٰ وجهه علامات التعذيب والضرب، ولكن لماذا يتجول بكل أريحية، ألا يخاف أن يراه القاتل؟»

بالواقع طلب المحقق من السيد حسام أحمد أن يتجول بكل مكان.

جلس السيد حسام وسأل المحقق: ألا تريد إطلاعنا علىٰ خطتك العظيمة؟

المحقق: عمران، أجلبت دفترك لتدون الخطة؟

عمران: أجل.

المحقق: الخطة كالآتي: في منتصف الليل حين يكون الجميع نائمين، يقرر السيد حسام الذهاب إلىٰ الحمام، لأن من المفترض أن يكون حمام غرفته معطلًا، ولكنه سيمشي ببطء، ليخرج القاتل ويرىٰ السيد حسام أحمد

يسير وحيدًا، فيقرر أن يكمل ما بدأ به، فيخدر السيد حسام أحمد ويأخذه ليقتله، فندخل عليه ونمسك به.

يوسف: لا أظن أنها خطة جيدة، فخطتك تعرض حياة السيد حسام أحمد للخطر، واحتمال أن القاتل فكر بها.

عمران: وكيف لنا أن نعلم المكان الذي قرر الخاطف أن يأخذ السيد حسام إليه؟

المحقق: بالطبع لن يسير السيد حسام أحمد من دون حراسة.

الساعة الثانية عشر منتصف الليل:

بدأ الفريق بتنفيذ خطته وخرج السيد حسام أحمد ليذهب إلىٰ الحمام، وفي طريقه شعر بأحد يمشي وراءه، فالتفت بسرعة ولكنه لم يجد أحد فأكمل طريقه، كانت كلتا يدا السيد حسام أحمد ترتجف من شدة الخوف، ولكن لا مجال للعودة، وفي لحظة شعر حسام أحمد بأحد يضع كلتا يديه علىٰ فمه، لم يعلم ماذا يفعل فسمع هذا الشخص يقول له بهدوء: التفت

إلىٰ الوراء ولا تفعل أي حركة تعرض حياتك للخطر، لقد أمسكت بك.

عندما التفت السيد حسام أحمد انصدم بأنه ليس القاتل.

كانت علامات الصدمة مرسومة أيضًا علىٰ وجه الرقيب أشرف، فلقد توقع أنه أمسك بالقاتل لا بالسيد حسام أحمد. في ذلك الوقت هرع المحقق ويوسف وعمران متجهين نحوهما لمعرفة ما الذي يجري، ومن هذا الذي أمسك بالسيد حسام أحمد.

المحقق: من أنت ولماذا أفسدت خطتنا؟

الرقيب أشرف: وما هي خطتكم؟

المحقق: هذا ليس من شأنك، ولماذا تسأل أأنت شرطي؟

الرقيب أشرف: لا، بل رقيب.

المحقق: أظن أنها نكتة غير مضحكة جرب غيرها.

أخرج الرقيب أشرف شارته وقال: الرقيب أشرف من الفريق البحري الفيدرالي، تشرفت بمعرفتك أيها المحقق أسامة.

رد المحقق بدهشة: الفريق البحري الفيدرالي؟

الرقيب أشرف: أرسل قبطان السفينة إبلاغ عن الجرائم التي تحصل بالسفينة، ونحن أتينا بسرعة للإمساك بعديم الشرف المتسبب بها.

المحقق: ولكن القبطان لم يخبرنا بإرساله للبلاغ.

الرقيب أشرف: بالأصل لم يكن عليكم المعرفة بوجودنا، ولكن مع الأسف.

المحقق: ولماذا؟ نحن نحقق لأكثر من عشرين ساعة باليوم ثم تأتون بكل أريحية...

الرقيب أشرف: بالواقع تحقيقكم ليس برسمي، فشكرًا لجهودكم ولكن حان دور المختصين.

عمران: لم أنطق بأي كلمة احترامًا لك، ولكنك تعديت حدودك، ولماذا أيها الرقيب المتألق والمتخصص بالتحقيق تحقيقنا غير رسمي؟

الرقيب أشرف: لأن المحقق أسامة ليس محققًا بالأساس.

يوسف: كيف ليس محققًا؟

عمران: محقق أسامة، لماذا لا ترد علىٰ خرافات هذا العجوز؟

الرقيب أشرف: أولًا يا سيد عمران أنا لست بعجوز، ثانيًا هذه ليست بخرافات.

لم يستطع المحقق أسامة إنكار ما قاله الرقيب أشرف قبل قليل ولكنه قرر الرد: أجل يا عمران، فقد كنت المحقق أسامة والآن فقط أسامة.

عمران: كنت؟

الرقيب أشرف: لقد تم طرد المحقق أسامة.

المحقق أسامة: في يوم وصلني اتصال للتحقيق في جريمة لعجوز تم قتلها في قارب صغير علىٰ الميناء، فهرعت إلىٰ مسرح الجريمة لأتفاجأ بأن القاتل موجود، ولكن المفاجئ ليس بوجود القاتل بل بأن القاتل هو حفيدها البالغ من العمر أربعة عشر سنة.

بدأت دموع المحقق بالانهمار فحاول مسحهم وأكمل: لـم أعلـم مـاذا أفعـل لأن القاتـل طفـل صـغير، ولكـن المقتـول جدتـه الكبيـرة في السـن، سـحبتُه إلىٰ الجانـب وسألته عن سبب قتله لها، فرد بكل برود بأنه كان يتـاجر بالممنوعات وقد تورط مع عصابة، فـذهب إلىٰ الميناء لتسـليم الممنوعـات، ولكنـه اكتشـف أن جدتـه كانـت تلاحقه، فحاولـت منعه ولكن إن لم يقتلهـا سيُقتل علىٰ يد رئيس العصابة، فأطلق عليها رصاصتين وماتت علىٰ الفور.

يوسف: وما علاقة هذه الجريمة بطردك؟

المحقـق: في ذلـك الوقـت وصـلت أم هـذا الولـد والتـي تكون أيضًا ابنـة العجـوز المسكينة، كانـت منهـارة علـىٰ موت أمها وتحاول مواساة أبنها ظنًا منهـا أنـه وجـد جثـة جدتـه صـدفةً، لـم أسـتطع في تلـك اللحظـة إخبارهـا أن ابنها تاجر ممنوعات وقاتل لجدتـه، عنـد إحضـار الولـد إلــىٰ المغفــر تــم اســتجوابه، وســؤالي عــن الأدلــة والاســتنتاجات التــي جمعتهــا، كــان هنــاك شــرطيان

يعلمان أن الولـد قـد قتـل جدتـه، لكـن لا أحـد يعلـم أنـه تـاجر ممنوعـات غيـري، فلـم أخـبر أحـدًا لكـي لا يكـبر الموضــوع، ولأن الولــد سيقضــي أغلبيــة عمــره في السجون. فلا نحولـه مـن حبس إلىٰ إعدام، بعـد مـرور أيام تمت مناداتي إلىٰ مكتب الرئيس، بالبداية ظننت أنـه سيستشيرني بأمر ما أو يخبرني بجريمة جديدة يجب أن أحقق بها، ولكن الصدمة كانت عند دخولي إلىٰ غرفته، كان قد جهز ورقة لطردي، لا أعلـم كيـف وصلت إليـه المعلومة ولكن انتهىٰ بي الحال مطرودًا بسبب إخفائي لجريمة ولد في عمر الرابعة عشر.

في الساعة الحادية عشر نـادىٰ القبطـان الفريـق البحـري الفيدرالي وفريق المحقق أسامة، لم يعلم كـلا الفـريقين سبب نداء القبطان في هذا الوقت.

القبطـان: بعـد أن عـرف المحقـق أسـامة بـأمر الفريـق البحـري الفيـدرالي فيجـب علىٰ كـلا الفـريقين الاتحـاد وتجهيز خطة بأسرع وقت.

الرقيب أشرف: الاتحاد؟ أنا وأسامة؟

القبطان: أجل، وبالنسبة للمحقق أسامة لقد كنت أعلم من البداية بأمر طردك، ولكن أعلم مدىٰ براعتك في التحقيق فلم أضغط عليك ولم أتدخل في عملك، ولكن أمامنا أقل من يوم للوصول إلىٰ الميناء ولم يتم الإمساك بالقاتل، فيقع علىٰ عاتقكم اعتقاله هذا اليوم وإلا سيضيع حق الضحايا المساكين وسيفلت هذا الحقير.

وافق كلا الفريقين وبدأ كل منهم بالتفكير في خطة، سأل الرقيب أشرف إذا ما كان هناك أي أدلة قد جمعوها عند بحثهم عنه، فأجاب يوسف: بالطبع يوجد، يوجد بضعة أدلة، تم جمع كل دليل مع كل جريمة.

عرض يوسف الأدلة علىٰ الرقيب أشرف وبدأ النقاش حول الأدلة وشرح القصص المتعلقة بكل دليل، كان مع كل دليل وقصة يزيد حقد الرقيب أشرف علىٰ القاتل، بدأ يوسف بشرح جريمة الأب وابنته، كانت دموع الرقيب واضحة

وعلىٰ وشك النزول، ولكنه حاول أن لا يبين هذا أمامهم.

عند انتهاء يوسف من سرد الجرائم التي حدثت علىٰ متن سفينة ماردولا، بدأ الفريقان بإعداد الخطة.

الرقيب أشرف: هل من أحد لديه خطة منطقية؟

وسيم: أظن أن لدي خطة ولكن لا أعلم إذا ستنجح أم لا.

الرقيب أشرف: وماهي يا وسيم؟

وسيم: لقد ذكرت يا يوسف أنه قد كتب علىٰ الخاتم حرف الفاء والألف، ولقد ذهبتم مسبقًا للتفقد من أسماء الركاب الذين يمتلكون هذه الأحرف في أول أسمائهم، تم تصفية ثلاثة منهم السيد فارس والطاهي فادي والسيد فاروق. فمن الممكن أن يكون أحدهم هو القاتل، سنخبر كلا منهم أن السيد حسام أحمد موجود في مكان ما في منتصف الليل، سيعلم كل شخص بمكان مختلف عن الآخر، في النهاية من

سيذهب إلىٰ المكان الذي أخبرناه به سنمسك به كونه هو القاتل.

أعجبت الخطة الرقيب أشرف وقرر البدء بتحضيرها.

في ذلك الوقت تصادف أن القاتل كان يمشي في الممرات، ومر علىٰ الغرفة ليسمع الخطة كاملةً.

بعد أقل من دقيقتين دخل عمران علىٰ الغرفة وهو غاضب وصرخ: عن ماذا كنتم تتكلمون؟

يوسف: ما الذي يجري يا عمران؟

عمران: عن ماذا كنتم تتحدثون؟

السيد حسام أحمد: عن الخطة للإمساك بالقاتل، ولكن لماذا أنت منفعل لهذه الدرجة؟

عمران: لقد كان يستمع إليكم.

الرقيب أشرف: من؟

عمران: من سيكون غيره، عديم الشرف.

السيد حسام أحمد: القاتل؟

الرقيب أشرف: أيها الداهية.
يوسف: وماذا سنفعل الآن؟
السيد حسام أحمد: أنها الثانية صباحًا ولا أستطيع التفكير إلا بسريري.
عمران: أنا أفكر أن نذهب ونأكل.
وسيم: وأنا أيضًا أتضور جوعًا، فنحن من الصباح لم نأكل أي شيء.
الرقيب أشرف: وماذا عن القاتل أيها الأذكياء؟
المحقق: أظن أنه بغرفته يحاول أن يفكر بخطة لتخريب خطتنا.
السيد حسام أحمد: خطة لخطتنا جميل، ليفكر بخطة ولنفكر ببطوننا.
الرقيب أشرف: لا يمكن، هل تفكرون ببطونكم والقاتل يتمشىٰ بكل أريحية في السفينة منتظرًا غنيمةً جديدة؟
ذهب الفريق إلىٰ القاعة السفلية لأنها المكان الوحيد الذي يقدم الطعام في هذه الساعة.

لم يكن هناك غير شطائر باللحم تم إعدادها قبل قليل، عند وصول الشطائر طلب عمران من الجميع عدم أكلها

«لن يتناول أي أحد هذه الشطائر، ولن يشمها أيضًا».

يوسف: ألم تكن قبل قليل ستموت من الجوع، والآن أنت تمنعنا من أكلها، ما الذي تخطط له يا عمران؟

عمران: أظن أن القاتل قد وضع في هذه الشطائر مخدرًا أو سمًا، لا أعلم بالضبط ما الذي وضعه ولكنه قد وضع فيها شيئًا سيقتلنا جميعًا.

أضاف عمران: أرجو أن لا يبين أي أحد أننا نعلم.

الرقيب أشرف: سنمثل أننا أكلنا الطعم، ثم يأتي ليتخلص من جثثنا.

عمران: بالضبط، ستضعون جميع الشطائر في هذا الكيس ثم يتم التخلص منها ورميها في المحيط.

وسيم: بعد أن طلبنا جميع هذه الشطائر، وأنا أتضور جوعًا، الآن تخبرونني أنه سيتم رميها كلها، هذا يعد من أقوى أنواع التعذيب النفسي.

بعد ساعة ونصف سقط وسيم علىٰ الأرض مغشيا عليه، ثم يليه السيد حسام أحمد، فباقي الفريق واحدًا يلو الآخر.

لم تمر عدة ثوان حتىٰ جاء صوت قهقهة عالية من اتجاه المطبخ.

القاتل وعلامات الانتصار تعلو وجهه: لقد استعنتم بالفريق البحري الفيدرالي ولم تستطيعوا أن تمسكوا بشخص واحد، يا لبأسكم، كنت أتمنىٰ أن يستطيع أحد منكم أن يجد خطة جيدة ليمسك بي، ولكن أنتم الآن جثث هامدة أمامي، أيها الفشلة.

«أيها الفاشل، لقد تم الإمساك بك» صرخ بها عمران وهو في قمة سعادته لأنه أمسك بالقاتل أخيرًا.

****

(إعدام)

تصاعدت الخطوات، اقترب الصوت إلىٰ باب المحكمة، بدقة بواحدة فتح الحارس البابين ليدخل المحكوم مقيد اليدين، ويمسك به رغم ذلك حارسين ويتبع بهما حارس من الأمام وحارس من الخلف.

كان الكل منتظرًا هذه اللحظة علىٰ أحر من الجمر، فالآن سيرون الشخص الذي أخذ منهم أحبتهم، أولادهم وأحفادهم، الشخص الذي حول رحلة ترفيهية إلىٰ مجزرة ستسجل بالتاريخ وسيتم تناقلها مع الأجيال.

ثلاث طرقات صادرة من مطرقة القاضي، يتبعها صرخة "بدأت الجلسة».

كان المحقق أسامة ويوسف جالسين في أول صف منتظرين حكما ينصف أهالي المساكين ويوجه القاتل إلىٰ المشنقة.

كانت ضربات قلب يوسف تزداد مع الدقائق لأن عمران لم يحضر بعد.

سأل المحقق يوسف: أين عمران، لماذا تأخر؟

يوسف: لا أعلم، ولكن من الممكن أن يتم استجوابه في كرسي الشهود في أي لحظة.

المحقق أسامة: إن لم يصل الآن من الممكن أن يكتب في سجله «مخالف للعهد» بسبب عدم حضوره وتسجيل اسمه ضمن قائمة الشهود.

قبل أسبوع من المحاكمة:

القاتل: عمران أيها المخادع، لم أتصور قط أنه سيتم الإقاع بي بفخ من إعدادك، أحسنت.

عمران: أظننت أنك فزت علينا فقط لأنك تنصت علىٰ خطتنا أيها الأحمق؟

القاتل: ولكن لم تكن خطتك مثالية جدًا، لقد أمسكت بي أخيرًا، ولكن في الجانب الآخر أصبح فريقك كله جثث هامدة.

عمران: ومن أخبرك بهذا؟

القاتل: ماذا تعني؟

يوسف: يعني أنك لم تسمم أيًا منا.

القاتل: أظهرت جدارتك في التمثيل يا يوسف، أحسنت صنعًا.

السيد حسام أحمد: أنصحك أن توفر طاقتك للإعدام.

القاتل: حسام أحمد، هل أخبرتهم بطرق التعذيب التي أجريتها عليك، أقسم أنه كان أمتع شيء فعلته بكل حياتي.

السيد حسام أحمد: أتتذكر؟ لقد طرحت عليك سؤالًا في يوم من الأيام، ولكنك لم تعطني أي جواب؟

القاتل: أي سؤال، فقد كنت تطرح الكثير من الأسئلة؟

السيد حسام أحمد: من أين جلبت ذلك الطعام كله؟

القاتل: لا أظن أنك تريد أن تعرف الإجابة.

في يوم المحاكمة:

اقترب محامي حكم الاستئناف من القاضي ليحاكيه:

المحامي: سيدي القاضي، فلننتظر قليلًا، لأن الشاهد الرئيسي متخلف قليلًا.

القاضي: من الصعب الانتظار الآن.

المحامي: ولكن سيدي القاضي لن نستطيع الحكم علىٰ المحكوم من دون السيد عمران.

القاضي: دقيقتان لا أكثر.

كانت يدي يوسف ترتجفان بقوة، فإن لم يصل عمران في أي لحظة من الممكن أن الجلسة تذهب لصالح القاتل.

المحقق: يوسف، أين عمران؟

يوسف: لا أعلم ما وقع به، ولكن ليجعله ربي خيرًا.

دخل عمران قاعة المحاكمة في آخر ثوان، كان الجميع ينظر إليه بنظرة استغراب وفضول.

كان يوجد في إحدىٰ يدي عمران حزمة من الأوراق الذي يكاد يوقعها من يده من شدة الخوف، واليد الأخرىٰ صندوق صغير بحجم كف اليد.

همس يوسف في أذن عمران: مع كل هذا التأخير أتمنىٰ أن ما تحمله يكون خيرًا.

إبتدأت جلسة المحكمة برفع الغطاء عن وجه الجاني، ظهر وجهه المتعب، والسواد تحت عينيه من هول الاستجواب.

صاح نائب القضاة: الجاني السيد فادي أحمد المتهم بقتل أربعة ضحايا، السيد سلطان، السيد جورج وابنته دانيلا وعازف الكمان السيد أنتوني توماس.

القاضي: سيد ياسر الخواجة (محامي الجاني) ابدأ بما لديك.

المحامي ياسر: أحمل يا سيدي القاضي بعض الأدلة ومجموعة من شهود الاستئناف، ما يتقارب ثلاثة عشر شاهدا يجلسون علىٰ يسارك، ولا أهل لموكلي في هذه القاعة.

القاضي: سيد فادي، تم اتهامك بقتل أربعة ضحايا علىٰ متن سفينة ماردولا، ألديك اعتراض علىٰ التهم؟

القاتل السيد فادي: لا يا سيدي القاضي، لقد قتلت جميعهم.

القاضي: هذا يعني أنك لا تنكر جرائمك؟

فادي: أجل، سيدي القاضي.

القاضي: كما ورد فقد كنت تعمل في السفينة كطاهي، هل أزعجك هؤلاء الضحايا فقتلتهم، أم كان قتلك عشوائيًا؟

فادي: لقد قتلتهم لكي انتقم من عمران.

كانت الصدمة واضحة علىٰ جميع من في المحكمة، لم يفهم عمران ما قاله هذا القاتل، فهو لا يعرفه.

صرخ عمران علىٰ الجاني فادي: تنتقم مني؟ من أنت ولماذا؟

ثم ضرب الكرسي بقوة وأكمل: إذا كنت تريد الانتقام لماذا قتلت أولائك الأبرياء ولم تقتلني؟

ضرب القاضي بمطرقته ثم صرخ: «هدوء، اجلس يا سيد عمران فلم يحن دورك بعد».

ثم أكمل القاضي: لماذا تنتقم من السيد عمران أيها الجاني؟

فادي: أظن أن السيد عمران يعلم سبب انتقامي منه، ولكنه يتظاهر بأن كل شيء قد انتهىٰ وأنه لا يعلم حتىٰ من أنا.

همس المحقق أسامة في أذن عمران: «لا تفكر أن ترد عليه، وإلا سيطردوك من الجلسة ولن نأخذ حق أي من الضحايا»

القاضي: لقد سألتك لماذا تريد الانتقام من السيد عمران؟

فادي: أتتذكر يا سيد عمران بأن أباك كان يمتلك قاربا صغيرا، في يوم ميلادي التاسع، قرر والداي أن يفاجئاني برحلة علىٰ متن قارب، رحب والدك بنا علىٰ متن قاربه. أعطيناه كل الثقة وركبنا، في غضون عشر دقائق انتبه والدك أن هناك تسرب في القارب، لم يعلم ماذا يفعل، لم تمر دقيقتان إلا وإذا بالقارب يغرق، لم

تستطع عائلتي النجاة في ذلك اليوم، فعاهدت نفسي أن أنتقم منه ومن عائلته، قررت قتل ابنه ليحس بألم الفقدان الذي سببه لي.

القاضي: ولماذا قتلت أولائك الأبرياء ولم تقتل السيد عمران؟

فادي: بالبداية كنت اظن أن السيد سلطان هو عمران، ولكن بالصدفة عندما كنت مارًا بغرفته، سمعته هو وعمران يتشاجران حول شيء ما، في تلك اللحظة اكتشفت أنني كنت أخطط لقتل شخص آخر، ولكن قررت أن أكمل ما بدأت به، كنت أشعر أن عمران سبب من أسباب مقتل والداي، وأنه سيكون سبب في مقتل أشخاص آخرين.

القاضي: وماذا حدث للأب جورج وابنته دانيلا؟ وهل كان لهما أي علاقة بعمران؟

فادي: بالواقع لا، ولكن أشعرني القتل بشعور قوي لا أعلم ما هو، ولكنه شعور جيد، عندما رأيت الأب

حاول الانتحار في مرة من المرات، قررت قتله، ولكن بطريقة سيظن الجميع أنه انتحر، فإستدرجته إلىٰ مكان ما، وبعد مدة قصيرة بدأ يهلوس باسم ابنته (دانيلا) ويهددني إن ألحقت أي ضرر بها، فقتلتها معه.

القاضي: وكيف جعلت هذه الجريمة أشبه بالانتحار؟

فادي: كان هذا أسهل جزء وأكثره متعة، بالبداية ربطته

بحبل هو وابنته، ثم ذهبت إلىٰ أحد الغرف التحتية

للسفينة، وتكون هذه نوافذ هذه الغرف في قعر المحيط، فسحبته ليظن الجميع أن موته كان انتحارا وليس قتلًا.

القاضي: في جريمتك الثالثة، تم إثبات أنك قتلت عازف الكمان بضربة بالكمان علىٰ رأسه، ثم مات خنقًا بأوتار الكمان الخاص به.

فادي: قبل عدة أيام من قتلي له، كان يدردش مع عمران وكان مستمتعًا جدًا، فقتلته لأستمتع أنا أيضًا.

القاضي: إذًا فأنت تقتل لتستمتع؟

فادي: أقتل لأنتقم، أقتل لأعوض ألم الفقد، أقتل لأجعل الناس تشعر بما شعرت.

القاضي: ولكن هذا ليس بمبرر أيها الجاني، لأجل متعتك ذهب أربع ضحايا من ضمنهم طفلة.

ثم صاح نائب القضاة: الشاهد الرئيسي السيد عمران، تفضل إلىٰ كرسي الشهود وأعرض ما تملك من أدلة.

كانت عينا عمران في ذلك الوقت مليئة بالدموع والغضب لما سمعه من هذا القاتل عديم الضمير، ولكن استجمع قوته ووقف ثقة عارمة وعِزة نفس، وذهب ليأخذ بثأر كل الضحايا، خطوة وراء خطوة إلىٰ أن وصل، وقف وقال: سيدي القاضي، بالبداية أريدك أن تعلم أنه لا علاقة لي ولوالدي بما حدث بتاتًا، خلال ذلك الحادث الأليم تعرض والدي إلىٰ مشكلة بالجهاز التنفسي بسبب دخول كمية كبيرة من الماء في الرئتين، وللآن هو يعاني بسبب ذلك الحادث نفسيًا وجسديًا، والآن أريد أن أعرض الأدلة التي جُمعت مع كل ضحية وجريمة، الضحية الأولىٰ زميلي في الغرفة السيد

سلطان، قبل ساعات من موته كان سلطان جالسًا في مقدمة السفينة ومعه دفتر الرسم الخاص به، كانت آخر رسمه موجودة بدفتره هي شخص ملثم يحمل بعض الأكياس، أظن أن الجاني حاول استدراجه عن طريق نداداته للمساعدة في حمل هذه الأكياس، لم يعلم سلطان أن قلبه الطيب سيقتله.

الضحية الثانية، كان الأب جورج وابنته دانيلا، لقد سمعتَ قصته المؤلمة من فم الجاني قبل قليل، بعد قتله للأب وابنته كان يرسل في يد أحد أطفال السفينة رسائل كتبها باسم الأب، كان محتوىٰ هذه الرسائل عن سبب انتحار الأب وسحب ابنته ولكن رأيته بالصدفة وهو يسلم هذه الرسائل إلىٰ يد الطفل.

الجريمة الأخيرة لعازف الكمان، كانت جريمته الأكثر وحشية، فقد تحول لونه إلىٰ الأزرق من شدة الخنق. مات عازف الكمان بكمانه

وأضاف إلىٰ كلامه: تفضل يا سيدي هذه الأدلة لتتأكد من صحة كلامي.

القاضي: هل هناك ما تريد إضافته سيد فادي؟

فادي: بالطبع، هل تتذكر يا عمران، في يوم من الأيام قدِمت لتتناول شطيرة جبن الحلومي مع بعض الطماطم بجانبها كوب من الشاي الأحمر البلدي؟

عمران: ماذا وضعت في طعامي يا هذا؟

فادي: أظن أنني أكثرت من المهلوس، لأن في اليوم الذي يليه بدأت صحتك النفسية تتدهور بسبب قوته، كنتَ تظن أنك أصبت بالجنون بسبب المقطوعة، ولكن الخبر الجيد أنك لم تصبح مجنونًا بسبب المقطوعة بل بسبب الشاي الأحمر.

القاضي: أيها الجاني فادي، لقد ذُكر أنه تم التحقيق معك في السفينة في مرة من المرات، ولكن كان شعرك أسود ومختلف البنية الجسدية، أشرح لنا كيف غيرت شكلك، من شكل فادي المعتاد إلىٰ فادي الطباخ السمين؟

فادي: بالواقع كان سهلًا جدًا، كنت أضع بعض الملابس تحت رداء الطاهي لكي يصبح شكل جسمي

أسمن، وبالنسبة إلىٰ شعري، لقد كنت أرتدي باروكة صنعتها بنفسي.

القاضي: في بيان السيد حسام أحمد، ذكر أنه كان هناك جرح علىٰ معصمك الأيمن، كيف أخفيت هذا أيضًا؟

فادي: لقد حرقت يدي بزيت القلي الموجود في المطبخ، لأنني كنت علىٰ علم بعد هرب السيد حسام أحمد أنهم سيأتون ليبحثوا عني، ففضلت حرق يدي بالزيت المغلي علىٰ أن يمسك بي من قِبلهم.

بعد رؤية هذه الأدلة واعتراف الجاني فادي أحمد وأخذ رأي هيئة المحلفين، قرر القاضي أن لا حاجة إلىٰ جلسة أخرىٰ وأنه سيتم إعلان الحكم علىٰ الجاني في هذه الجلسة بعد قليل.

لم يستطع عمران إمساك دموعه من الخوف، وكان يوسف جالسًا بثقة عارمة لأنه يعلم أن القاضي سيحكم بالعدل، كان احتمال الفوز في القضية أقوىٰ من خسارتها.

ضرب القاضي بمطرقته وقال: تم إتخاذ الحكم اللازم بشأن السيد فادي أحمد، قررت المحكمة واللجنة العليا أن السيد فادي أحمد متهم بقتل أربعة أشخاص ضمن رحلة بحرية علىٰ متن سفينة ماردولا، وعلىٰ هذا تم إثبات هذه الجرائم من قبل المتهم عينه، ونظرًا لما فعله سيحكم عليه بالقصاص والإعدام بالرصاص، وسيتم تنفيذ الحكم في التاريخ الموافق السابع عشر من شهر يناير عام ألف وتسع مئة وخمسة وستون (١٩٦٥)، رفعت الجلسة.

نظر المحقق إلىٰ كل من يوسف وعمران وقال: «ظهر الحق وزهق الباطل» أحسنت يا عمران، فبفضلك تم القبض علىٰ القاتل والحكم عليه.

عمران: لولا مساعدتك ووقوفك بجانبنا لكان من المستحيل الإمساك به وأخذ بثأر الضحايا «رحمهم الله».

يوسف: عمران، لماذا تأخرت علىٰ المحاكمة؟

قبل المحاكمة بثلاث ساعات:

كان عمران يبحث في القائمة عن عناوين تساعده علىٰ العثور علىٰ أهل الضحايا، استطاع إيجاد عنوان والد سلطان وقرر الذهاب لتعزيته والتخفيف عن ألمه.

طرق عمران جرس الباب لأكثر من مرة ولكن لم يجبه أحد، فقرر الذهاب لأن ليس لديه متسع من وقت قبل أن تبدأ المحاكمة، ولكن فتح والد سلطان الباب في آخر لحظة وقال: أعذرني يا سيدي علىٰ تأخري علىٰ فتح الباب، فأنا لا أستطيع المشي من دون عكازي.

عمران: ليست بمشكلة كبيرة لا بأس، هل أنت والد السيد سلطان؟

والد سلطان: أجل يا سيدي، ولكن لا أستطيع مناداة سلطان، لأنه توفي قبل فترة في رحلة بحرية.

عمران: لا، لقد أتيت لأجلك، بالمناسبة أنا عمران، لقد كنت زميل سلطان في تلك الرحلة البحرية، أنا أسف علىٰ ما حدث له.

والد سلطان: هل أنت عمران الشهير؟ تفضل بالدخول.

عندما دخل عمران، انصدم من شكل البيت، كأنه لم ينظف من فترة طويلة.

عمران: هل يناسبك أن أوفر لك شخص يأتي إليك كل أسبوع لينظف البيت ويساعدك.

والد سلطان: بالواقع كان سلطان ينظف البيت، وبعد رحيله لم أستطع تنظيفه بمفردي.

عمران: هذا يعني أنك قبلت أن أحضر مساعد لك؟

والد سلطان: شكرًا لك سيد عمران علىٰ كل ما فعلت.

عمران: لم أفعل أي شيء، هذا من حقك.

والد سلطان: لقد سمعت أنك قبضت علىٰ قاتل سلطان، هل هذا صحيح؟

عمران: أجل يا سيدي، وستتم محاكمته بعد ساعتين.

والد سلطان: هل سيعدم؟

عمران: أتمنىٰ ذلك، لا تخف فالقاضي رجل عادل لا يُضيع حق ابنك إن شاء الله.

كانت وجهته التالية إلىٰ أخت عازف الكمان السيد كوزيت ماردينيو.

استقبلت السيدة كوزيت عمران بكل سعة صدر وترحيب:

السيدة كوزيت: سيد عمران، لا أعلم كيف أوفي حقك بعد أن أمسكت بسافك دماء أخي.

عمران: كان عازف الكمان من أطيب الركاب، كان عزفه يجمل صباحي.

السيدة كوزيت: لا أعلم لماذا قتل أخي رغم أنه كان عازف كمان عادي؟

عمران: كان موته كالصاعقة للجميع، لم أستطع تخطي موته أبدًا.

أضاف عمران: سيدة كوزيت، ستبدأ محاكمة القاتل بعد أقل من ساعة، وأتيت لأدعوك لكي تري ماذا سيحكم علىٰ قاتل أخوك.

السيدة كوزيت: سآتي بالتأكيد لأرىٰ رقبة ذلك الحقير تنحر.

الثالث والعشرون من شهر يناير:

ذهب عمران إلىٰ عمله في الصباح، وفي طريقه مر علىٰ صندوق البريد الخاص به ليتفقده، كانت هناك رسالة واحدة، انصدم عمران من المرسل فلم يكن يتوقع أنه المحقق أسامة بتاتًا، سارع في فتح الرسالة فكان

محتواها: إلىٰ أعظم شخص عرفته البشرية، إلىٰ عمران صاحب القلب النقي، أريد أن أعلمك أن بفضلك سيتم اليوم تكريمي كأفضل محقق في لبنان والوطن العربي، بفضلك عشت تجربة لن أنساها أبدًا.

كانت أفضل قضية حققت بها إلىٰ يومنا هذا وستظل الأفضل، أريد دعوتك إلىٰ حفل التكريم أنت ويوسف، سيكون في تمام الساعة التاسعة صباحًا من يوم الثلاثاء المقبل، شكرًا لأجل كل شيء، من المحقق أسامة».

عند وصول عمران إلىٰ الحفل استقبله الرقيب أشرف ووسيم، كان يبدو علىٰ الرقيب علامات الفخر عند رؤية عمران.

الرقيب أشرف: عمران، لقد أبليتَ بلاءً حسنًا، كانت خطتك عبقرية لم تكن ستخطر علىٰ بالي حتىٰ، أثبت جدارتك.

وسيم: بالبداية لقد استخففت بكم، كنت أظن أنكم فريق ضعيف غير قادر علىٰ الإمساك بحشرة صغيرة حتىٰ، ولكنك أثبت عكس كلامي وكلام الرقيب أشرف.

عمران: كلام الرقيب أشرف؟

وسيم: أجل، وهو كان يفكر بنفس الشيء عنكم...

في تلك اللحظة دخل السيد حسام أحمد ويوسف إلىٰ القاعة، ذهب يوسف باتجاه عمران وقال: سيد عمران، سيبدأ الحفل في أي لحظة وأنت لم تختر مقعدك بعد؟

عمران: أوه سيد يوسف، لا لم أختر بعد، فقد كنت أنتظرك.

سيداتي وسادتي، بعد الحادثة المفجعة التي حدثت علىٰ متن سفينة ماردولا في رحلتها البحرية الأولىٰ، خرج من الركاب أبطال سيخلد اسمهم في التاريخ

لشجاعتهم، لقد تم الإمساك بالقاتل الذي سفك العديد من الدماء من قبل أحد أولائك الشجعان، أعلم أن الجائزة لا تساوي ذرة من مجهوده وتعبه، السيد عمران تفضل إلىٰ المنصة لاستلام جائزتك.

كانت الصدمة تعلو علىٰ وجه عمران بعد أن توقع أنه حفل تكريم المحقق أسامة وليس بحفل له.

صعد عمران لاستلام الجائزة، أمسك بها وقال: لم أكن سأستطيع الإمساك بالقاتل لولا الفريق الذي كان معي بكل خطوة، السيد يوسف، المحقق أسامة، الرقيب أشرف، مساعدته وسيم ولا ننسىٰ السيد حسام أحمد، شكرًا لكل منكم علىٰ كل لحظة قضيناها معًا سواء كانت سعيدة أم حزينة.

لم يعلم أي من يوسف وعمران أن سفينة ماردولا ستتحول من سفينة ترفيهية تجوب العالم ليري ركابها محيطات العالم الشاسع، وتبعد مصاعب ومتاعب الدنيا عنهم، سفينة يحلم الكبار والصغار بركوبها، إلىٰ سفينة سيكتب قرب اسمها (جريمة في سفينة).

الخاتمة

النهاية، الحياة حلوة أحيانًا، عند فهم شعور من حولك، تستطيع فهم ما تشعر به، الخوف من مواجهة الحقيقة ليس هربًا، بل تأجيلًا لحقيقةً أعظم.

الناس نوعان، من تفهم حقيقته بنظرة واحدة، ومن لا يعلم له سرًا إلا عند التمعن بنفسه.

شكرًا علىٰ كل اللحظات التي وضعتموها لقراءة هذه المخطوطة وإبدائها اهتمامًا.

شكرًا... سارة غزوان

****

المحتويات

****